ANCORA IMPARO



العصور

اغسطس ١٩٢٨ شعاع الحكمة يجذبنا اليك العدد ١٢ مجلد ٢

الديموقراطية
فى الميزان

تلخيص عن « ولز » الكاتب الانجليزى الاشهر

للعصور عذر واضح فى أن تنشر هذا المقال القيم الذى ترجمناه عن « ولز » الكاتب الانجليزى المعروف ، على ما يستغرق من فراغ كبير ، وعلى ماسوف يشغل من وقت القراء فى استيعابه وتفهم مراميه . ونحن الآن نعيش فى عصر الديموقراطية كما يقولون . غير أننا نرى أن النظم الديموقراطية أخذ ينهار أساسها واحدا بعد واحد . فهى فى ايطاليا مجرد شبح مجرد عن القوة ، وفى اسبانيا خيال لاحقيقة له . فهل يمكن أن يكون تعطيل النظم الديموقراطية دليلا على فسادها ؟ هذا مايمكنك أن تصدر فيه حكما مستقلا اذا أنت أكببت على تفهم ما تقدم لك العصور اليوم من بحث مستفيض

ان مميزات العصر الحالى تحدونا أن نسم عصر الديمقراطية بأنه عصر التجربة كان العصر المنصرم عصر انتصارها . وهذا تكملة لسلسلة العصور التاريخية كما

اذ لاح القرن السادس عشر والديموقراطية جنين فى جوف الدهر .ثم شاهد القرنان السابع عشر والثامن عشر آلام الوضع ، وما بزغت شمس القرن التاسع عشر حتى نما هذا المولود وترعرع و بلغ أشده ، فاختلفت النظم السياسية والاجتماعية وقواعد الادب والفن عما كانت عليه فى القرون الغابرة ، الا أن تيار الديموقراطية قد بلغ نهايته .ولذا فقد تكسرت امواجه المتكاثرة على صخور الزمان

نأتى الآن على وصف الديموقراطية وتحديدها . وسواء أأدت المدلولات العامة إلى شيء أو إلى لاشيء ، فان الديموقراطية والاشتراكية، برغم اختلاف أوضاعهما ومظاهرهما ، تدلان على مدلول واضح كل الوضوح . و يمكن أن نقارنهما بحقائب صغيرة اعطيناها لجمهور من الاطفال كي يجمعوا فيها ماتصل اليه أيديهم من قطع الاحجار الصغيرة على شاطىء البحر ، فاذا تفقدت محتوياتها آخر اليوم ترى فيها شتى الاشياء مما لايتفق وجوده فى اثنين منها على السواء ، ولو أن الفرق بينها ليس ببين . وارى أن مدلول لفظة الديموقراطية عند الجميع يكاد ينحصر فى القاعدة الخلقية الآتية : وهى أن الكل متساوون فى نظر الخالق ، أو فى القاعدة القانونية : وهى ان الكل متساوون أمام القانون ، أو القاعدة العملية : وهى ان مال هذا يساوى مال ذاك سواء بسواء . ومعنى هذا الغاء الفوارق الاجتماعية والطائفية وكل الامتيازات أى وضع الجميع فى موضع المساواة التامة . بيد أنها تحوى تناقضا بسيطا وهو أنه بينما تلح فى تبيان اهمية الفرد والشخصيات الفردية فانها تحد من بروز هذه الشخصيات لدرجة التفوق والغلبة والطغيان . اذ بينما تعمل على دفع الافراد الى مستوى واحد تقضى نفس العملية بانزال كل الافراد الى مستوى السواد الاعظم . ومما لامراء فيه أن الفكرة الديموقراطية كامنة كمونا عميقا فى نفس الانسان الوثابة المتمردة ، وهى فضلا عن ذلك مسلم بها على السواء فى الاسلام والنصرانية

الا أنه لم نشعر بتأثيرها فى التعبير عن متاعب الانسان الادبية والسياسية والعلمية الا فى القرن السادس عشر حين بدأ انحلال النظام الاقطاعى تدرجاً واقترن بزوغ شمسها بالقضاء على الانظمة العتيقة البالية واطلاق عوامل تحرير

الجنس الانسانى من عقالها ، كما نشطت عوامل الانحلال . وتحدى السلطات التقليدية.

و بنهوض الروح الديموقراطية تولدت أوضاع وأساليب جديدة في عوالم الادب والسياسة والفن

ففى السياسة نشأت فكرة الحكومة بواسطة الهيئات المنتخبة التمثيلية . فلنا الآن برلمانات فى كل جهات العالم . وقد اقترن ذلك باتساع نطاق حق الاقتراع حتى شمل كل الذكور ، ثم تناول النساء . ويصعب علينا أن نتصور شكلا من أشكال الحكومة دون دستور و برلمان وجمهور منتخبين لتأييد حكومة تتغير وتتبدل من آن لآخر . بيد أن ذلك لم يكن معروفاً منذ ستة قرون وكان العالم القديم يجهل هذه الطرق اذ كانت هيئاتهم غير ممثلة لجمهور الشعب ولو أن النظم الديموقراطية اليونانية والجمهورية الرومانية كانت تقضى بحشد الشعب بأسره لاستفتائه حتى فرنسا وانجلترا التى كان فيها برلمان نوعاً ما قبل القرن السادس عشر، لم تكن تتصوره كهيئة حاكمة . وكان العنصر المنتخب في المركز الادنى

وغنى عن التعبير أن النظم النيابية الغالبة الآن ، والمنتشرة فى أركان الارض من بلاد الصين الى جمهورية البيرو . لم تكن لتخطرعلى مخيلة أعمق البشر ادرا كا ، قبل ثلاثة عشر قرنامضت . وهذه الحقيقة ذات اهمية عظمى

هذا هو المظهر السياسى للديموقراطية

أما فى الادب فاداة التعبير عنها هى الرواية . وهى وليد جديد فقد كان للبشر في كل عصر من عصور المدنية قصص وحكايات عن المخاطرين والرواد. بيد أنها كانت تتناول سير الملوك والامراء والابطال

فلمانهضت الروح الديموقراطيه تغلبت قصص الافراد والاشخاص العاديين مجردة عن عوامل السياسه ومن غير علاقة بالاوضاع الاجتماعية ، طليقة من قيود المسئوليه والخضوع التقليدى بل عاشت حرة بذاتها الفردية وما أودعته فيها الانسانية من قوى الخير أو الشر و بدأت النهضة « بسرفانتس » الروائى الاسبانى العظيم مؤلف

« دون كويزوت » الذى هزأ بارستوقراطية العهد الاقطاعى وامتيازاته الطائفية كما أشار الى روح الفروسية وعدم جدواها فى آخر الأمر، وسخر من بطله اذ يضع واحكم حكمه فى لسان مهرج ، وكان هذا كما كان تغلب طواحين الغلال على البطل الشاكى السلاح ، نذيرا بتغلب الروح الشعبيه على النزعة الطائفيه . على ان الميزة الكبرى التى امتازت بها كل روايات القرن التاسع عشر والتى امتد أثرها الى عصرنا هذا ، ان كل أشخاصها أوجلهم من عامة افراد الشعب ومن ذوى الحرف العادية أو المهن ، ليسوا من ذوى المكانة الممتازة أو الجاه العريض . ليسوا من أولى الامر أو ممن يسوسون مهام الدولة . فاذا كانوا من هذا الصنف الأخير ، فليس ذلك بمؤثر فى خلقهم أونزعتهم أوشخصياتهم باعتبارهم أفرادا من أفراد الانسانية ، بحيث أصبح عنصر الرواية غير محصور فى تنازع سلطات أو قوى مبهمة ، بل فى المد والجزر الذى يقع عادة في حياة البشر بين الجماهير ، فتجوهبت الآراء العظيمه والمعتقدات التى تربط بين البشر في الحياة الاجتماعية . فلم يصبح هنالك من أثر للمعتقدات الدينية والآراء السياسية بشكل يثير النزاع والخلاف بين أشخاص الرواية بحيث يتحدون بعضهم بعضا ، حتى أن النقاد يحرمون مثل ذلك فى الرواية اذ ليس ذلك ميدانها ولا تلك غايتها .

واذا تأملت في روايات كبار العصر الماضى من نوابغ الروائيين ، كبلزاك وديكنز وترجنيف وزولا ، تجد أن رواياتهم عبارة عن معارض للاحياء واسواق للانسانية المضطربة . فأذا بدت خلالها شجون سياسية تناولتها يد الكاتب كأى شجون أخرى ممايعترض سير الحياة الانسانية المضطربة ، أومناظر تبرز خلالها كصور الاشخاص ، بأكثر مايكون من الوضوح والجلاء .

يكاد يكون من المتناقضات أن العصر الذى شاهد تقويه الفرد وازدياد نفوذه وامتيازاته كعضو فى الهيئة الاجتماعية . بحيث أصبح الكل تقريبا ممتعين بحق الانتخاب ، أى أن لهم نصيبا ما في حكم العالم والسيادة عليه — ذلك العصر ، قد شاهدفى نفس الوقت انقلاباً وتطورا آخرهو على حد التعبير الادبى « انعدام الفود قوة المجموع » واندماج العالم في الجماهير بحيث أصبح عمل

الجميع ليس عملا يخص أى فرد بمفرده ، كما أصبحت الآداب في عصر التغلب الديموقراطى أداة تعبر عن الفكرة التى تخفيها تطورات العصر السياسية الا كما يخفى الثوب الشفاف ماتحته. وقد دل هذا على أن الديموقراطية ليست احدى أوضاع الحياة الدائمة بوجهتها الاجتماعية والسياسية ، وانما هى مظهر لانحلال هائل بعيد المدى

قد يكون من السهل ان نطلق على الروايات التمثيلية في القرون الثلاثة الماضية نفس الخواص والمميزات التى للقصة فى هذه العصور — من حرية في الرأى وعدم تقييد وتنوع يشمل فولستاف (احدى أشخاص شكسبير) وأقرانه المهرجين وعطيل وغيرته والمسيو جو ردان (احدى أشخاص موليير) واطماحه الاجتماعية . وينطبق ذلك على التصوير والموسيقى فكان بهذا أداة لخدمة الاغراض السياسية والدينية وخاضعا لمقتضيات الزخرفة .ثم تحرر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، فهجر القصور والهيا كل وتناول حياة البشر العادية وتحول رساموه الآن الى فوضويين يتناولون بريشتهم مايحلو لهم خدمة للفن والتصوير. غير مهملين الحقيقة المجسمة محلقين فى سماء الخيال . اما الموسيقى فنشطت من عقالها . ولو تصورنا أن احد أجدادنا الذين ماتوا من قرون قد رجع الينا ثانية، لما وجد من شيء هو أدعى لدهشته فى عالمنا الجديد من زيارة احدى صالات الموسيقى حيث يسمع ألحان رافل أوديبوسى، فترن فى آذانه أنغام شجية تناسقها آية في الجمال، في حين أنها لا تتعلق بموضوع تام الحواشي ، أو تنقل للسمع صورة كاملة لمعنى من المعانى ،فضلا عن عجزها عن تادية المعانى الاجتماعية . رميت فى كل ما أسلفت القول فيه الى القول بان كل صور التعبير الانسانى في العصر الماضى فى الآداب والفن . ترينا الديمقراطية كقوة هائلة من قوى الانحلال التى تعمل على تفكيك عرى المجتمع . بيد أن هذا الانحلال الذى هو وليد الديموقراطية قد بدأت تقاومه عوامل البناء والتكوين التى لا غنى للمجتمع عنها ، بل هى كامنة في جسمه . وفى بعض المواطن لم يسفر سلطان الديموقراطية عن اطلاق عوامل الانحلال والتفكك ، لولا خلق حركة التحرير التى هى ،وليدة الديموقراطية ماقامت قائمة لعالم العلم الحديث

مما هو جدير بالملاحظة انه بينما انشأت الحركة الديموقراطية فى عوالم الادب والفن والساسية تيارات من الفكر تدعو الى التقسيم والتفرقة الى كتل وجماعات غير منظمة ، الا انه فى عالم العلم نجم عنها حركة بناء وتجمع واسعة النطاق شاملة جميع نواحى العلم ، وشيدت هيكلا متناسقا من المعرفة . وقد كان اتساع العلم وتكوينه فى القرون الثلاثة الماضية على نهج مخالف تماما لتطور الفنون والآداب والسياسة في تلك الفترة . ومن قبل ذلك عندما كانت أركان المعرفة الانسانية منظمة متناسقة في جميع نواحيها ، كانت العلوم سلسله من الحقائق لا يربطها ببعضها رابط ولا يجرى فيها تيار واحد من الفكر .

ولما تحرر الفكر البشرى من قيود التحكم والسلطان أخذت العلوم تنصب في قوالب التنسيق والتجانس ، تولد عن حركة التحرير التى تناولت عوالم الادب والفن والسياسة انطلاق من التقاليد الموروثة والاساطير الموضوعة أدى الى الحرية المطلقة التى لاحد لها . ولقد أسلم هذا في ميدان العلوم الى اخضاعها للتحقيق عن طريق التجربة والاستقصاء والمطابقة المنطقية بين حقيقة وأخرى ، أى ان تاريخ عصر الديمقراطية يشمل وجهين مختلفين ، ومظهرين قد يبدوان لاول وهلة متناقضين . أحدهما الانطلاق من القيود والانفلات من السلاسل والاغلال وعدم المبالاة بكل ماهو موضوع مقرر ؛ وان لم يكن ذلك بارزا تمام البروز فى أبحاث المعامل العلمية والجامعات . والاخرى نحو فكرة واحدة ثابتة عن الحقيقة تخضع لها قيم جميع الاشياء وتوزن بميزانها وتلتئم بمقتضاها حالات الانسان مع التغيرات الكيماوية ؛ وتوجد علاقة بين تركيب أدق الذرات وطبيعة أبعد الافلاك .

لم يكن نهوض الديموقراطية و بلوغها أوج السلطان بالامر الهين ، ولم يقتصر كفاحها على مناهضة الملوك والطبقات الارستوقراطية وكل فئة من ذوات الامتيازات التقليدية والسلطات الموروثة ؛ ذلك لان الفكرة القائلة بازالة الفروق بين الانسان وأخيه الانسان ، قد اصطدمت بحقائق مادية وعقلية . ولم يكن تاريخ القرن الغابر الا مرآة هذا الاصطدام وقد كان هذا الكفاح لتقرير المساواة بين البشر على

أشده فى البقاع التى تجاورت فيها جنسيات ذوات لغات مختلفة أو عند الحدود الجغرافية أو الاجتماعية التى ينتهى عندها انتشار شعوب مختلفة هناك وجد الانسان العادى انه مع ميله الى ازالة الفوارق الاجتماعية الكائنة بينه و بين من هم فوقه ، لابد من أن يصطدم مع غرائز ذات غور بعيد في النفس الانسانية تحدو به الى التمهل شيئاما ،ليحدد الفوارق القائمة بين الطبقات . ومن ثم اجتاحت عقليته شتى الغرائز والمشاعر وتولد فيه حب التنافس والنزاع ثم الريبة يليها العدوان . فكان عصر الديموقراطية كذلك عصر القومية ، ولم يكن العداء القومى والجنسى فى أى عصر من عصور التاريخ أشد وطأة وأحد سلاحا ، وأبعد أثرا وأكثر خطرا منه فى عصر الديموقراطية . بيد أن هذا يناقض مبادئها وأمانيها التى ترمى فى أغراضها العالية الواسعة الى ازالة الفوارق بين الطبقات والاجناس والطوائف .

ومن أطرف الظواهر في عصرنا الحاضر كفاح أحزاب العمال في الديموقراطيات الاوروبية مع ماهو غريزى فيها من عميق الشعور الوطنى ووطنيتها الوثابة . بيد أنه من أبلغ الحوادث تأثيرا فى النفس تلك التغييرات التى طرأت على حركات العمال فى بلاد كاستراليا وجنوب افريقية ازاء موقفهم أمام حركات اجتماعية خاصة كتيار المهاجرة التى تنزع اليها الشعوب الصفراء ، وحق التصويت للزنوج .

بيد ان الروح مع القومية ليست أكبر القوى التى أثارتها الديموقراطية الحديثة فى نهضتها ، ثم انقلبت تناهضها . ومما هو أبعد من القومية أثرا تلك القوة الانشائية المحركة في الحياة الاقتصادية ، والضغط المادى الهائل القاضى بابدال الاعمال الفردية التى توافيها روح المناقشة والنزاع ، بمشاريع تشاركية عظيمة . وليس هذا التحول قاصرا على الصناعات ، بل يتناول انتاج مواد أساسية أولية كالفحم والزيت والحديد والصلب والقطن والمواد الغذائية والكيمائية الاساسية . ونجم عن هذه الحركة ان الاعمال المنظمة والمنشأة على الاسس العلمية ، قد حلت محل الاعمال الفردية التى لم تنجح ويتسع نطاقها الا الى حد ما . وهنا يفاجئنا مظهر آخر من مظاهر الديموقراطية المتناقضة . اذ ان هذه المجموعات من الاعمال التى اتسعت بالاندماج حتى أصبحت كالمحتكرات هى نتاج حركة التحرير التى انتجتها

الديموقراطية وانبثتها الحرية التي هي أساس العلوم والمخترعات والتجاريب العلمية. وفضلا عما تولد عن الديموقراطية من زوال القيود والحدود التي حالت دون اتساع الاعمال نجد من جهة أخرى ان قيام هذه المشاريع التشاركية وهذه الكتل الاحتكارية، يخالف تماما روح الديموقراطية التي تقضي بالمساواة بين الانسان وأخيه، وتنادي بان الانسان سيد نفسه بل تقول بانه يجب ان يعيش كما تهوى نفسه. ومن الضروري لحياة مشاريع كهذه ونجاحها وجود نظام متشعب الاطراف يقضي بالتخصص والتقسيم والتفريع بين وظائف الاعمال واعطاء الهيئة التنفيذية قسطا من الحرية. وفضلا عما يؤدي اليه هذا النظام من وجود عمال مستخدمين كذلك تراه يقضي بوجود فوارق في الاختصاص والسلطة وقوة الابتكار بين الافراد. وقد توصلوا في امريكا الى ايجاد شبه تآلف بين هذه الحقيقة الديموقراطية لنظام البناء الاقتصادي والمثل العليا للديموقراطية القاضية بالمساواة بين الناس بتشريع يحول دون طغيان الهيئات الاحتكارية. وفي انجلترا حركة تنطبق على المنطق والعدالة ولوانها لم تبلغ أشدها بعد ترمي إلى انشاء ما يسمى «بالدولة الموزعة للمنافع»، وذلك بتقسيم المشاريع العظيمة من آن لآخر وتفريعها، ثم تسليم الاشلاء الدامية الى الافراد. بيد ان المظهر الاساسي للنزاع بين البناء والتحليل في العصر الديموقراطي هو الصراع المنقسم الى شطرين. شطر لها وشطر عليها. اذ أن أي شكل من أشكال الاشتراكية لايخرج عن أنه محاولة انتزاع الحياة الاقتصادية العامة من سلطان أية رقابة يخضع الآن لتسليم زمامها لهيئات نيابية منتخبة من العمال، أو سياسيين ينتخبهم من لهم حق التصويت في نظام المجتمع العام. فالاشتراكية هي السعي لجعل الحياة الاقتصادية أكثر انطباقا على المبادىء الديموقراطية بقدر ماسادت هذه المبادىء وتفشت في الحياة السياسية. اما المطعن العملي الذي قام أخيراً ضد الاشتراكية جزئيا كان أو كليا، فينحصر في أن الساسة والنواب عن الشعب ليسوا من الكفاءة بحيث يضطلعون باعباء قيادته. ومما يجب ملاحظته ان هذا المطعن له أنصار كثيرون يميلون الى تأييده و يقودني هذا البحث الى الكلام في حقيقة برزت جلية في عصرنا الحاضر، وهي ما اسميه «توقف سير

الديموقراطية والتمهل البادى فى نهضتها » وذلك راجع الى حقيقة بدت للعيان منذ نشوب الحرب وتجلت فى ذلك الشعور المتزايد بعدم الثقة فى السياسيين والتبرم بهم وعدم الرضى بالطرق التى تولدت عن الديموقراطية البرلمانيه . وقد شاهدنا فى بلدين لاتينيتين عظيمتين نظما سياسية و برلمانية تتصدع وتنهار غير مأسوف عليها من الشعب (١) . بينا نرى فى روسيا جمهورية برلمانية تظهر فى الافق ثم تختفى كالحلم ، ليحل محلها حكومة مكونة من هيئة منظمة لم ينسق على منوالها قبل حكومة للشيوعيين وهى فوق ذلك لاتعنى بالنظم النيابية الا على قدر مقدور . وفى الصين نشأ نظام آخر لامثيل له وهوحكومة « الكونتاج » توطدت معه جميع عناصر الدولة بعرى وثيقة أمام حكومة بكين البرلمانية المنبوذة من الجميع . ولا أريد الاسترسال فى ايراد الامثال الاخرى الدالة على ان الهالة السحرية التى كانت تحوط نظم الحكم بالانتخابات العامة قد زالت تماما . وهنا بعد كل ما أدليت به من القول يجدر بنا ان نتساءل : « هل وقف تماما سير الديموقراطية » و « هل هى سائرة على النظم القديمة رغم هذه المظاهر » ـ و « هل هى مستقبلة أوجهاً أخرى وأشكالا من حياتها تختلف تماما عن نظمها القديمة بحيث تفتتح معها عصرا جديدا فى تجربة الانسان » ـ و « هل انطلاقها نحو البناء والتجديد يحولان دون التحول والميل نحو التجزئة والانحلال » .

أشرت في عنوان رسالتى الى الجواب الذى أميل الى الرد به على هذه الاسئلة وهو ان الديموقراطية في مستهل عصر جديد ـ عصر التجربة والمراجعة ـ عصر تجرى أحكام القدر فيه على زوال البرلمانات والهيئات البرلمانية والحياة السياسية كما نعهدها الآن .

وبزوال هذه النظم العتيقة والتقاليد سنفتتح عصر تقلبات عظيمة وتغيرات فى كل طرق التعبير عما يجيش في صدورنا من آمال ومطامح ومعان وسوف يتطرق هـذا التحول الى تغيير مناهج حياة كل منا . وقد ظلت الانظمة الديموقراطية السائدة عدة فى العالم تعبر عن التحرير والانطلاق نحو الحرية التـامة .

---

(١) يقصد ايطاليا واسبانيا

وكذلك تهديم الهيئات المتسلطة على الاعمال المادية وتحطيم القيود وازالة العقبات التى تحول دون حرية العمل . وقد أعقب ذلك تخلص الافراد فى كل أركان المعمورة من القوانين والنظم الجامدة ودساتير الحياة القاهرة وكل أشكال الاخضاع والمسئوليات والواجبات . وانى أرى ان هـذه العملية التى ترمى الى الانحلال قدآذنت بالزوال وان امام البشر الآن ضرورة قاهرة تقضى باعادة تنظيم الحياة والفكر على أساس وجهات من النظر جديدة . واتجاهات أخرى نحو الامانى السياسية والعقلية والاجتماعية التى تسمو فوق مقدرة الفرد العادى المتمتع بالحقوق السياسية، بل وتعلو على سياسييه كما تعلو على أفق التعليم الضئيل والادب الغث اللذين اعتادت عقولنا ان تتغذى بهما . وفى هذا الصدد سأذكر ثلاث مسائل هامة مشتبكة أخذت تواجه العالم منذ نشوب الحرب العظمى ، وفوق ذلك سأذكر كيف كان نجاح الحلول التى حاولت نظمنا الديموقراطية الوصول اليها ضئيلا ، بحيث ضعف معه أملنا فى التغلب عليها . وأول هذه المسائل معضلة الحرب وليس هنا مجال تعداد ويلاتها والخراب الذى عم العالم من مهلكات المستحدثات العلمية من حرب جوية الى غازات سامة وجراثيم قتالة والقضاء على سلامة الفرد الآمن غير المحارب الى الانقلاب الاجتماعى والانهيار الاقتصادى الذى يستتبع سلسلة أخرى من المعارك . وقد أصبح السواد الاعظم من العالم لايبغى الحرب . ولكن ماأضأل المحاولات التى قامت بها الحكومات منذ سنة ١٩١٨ لوضع حوائل دون الحرب . انها ليست أكثر من حبر على ورق ، وما زلنا نسمع صلصلة السيوف وقصف المدافع في أوروبا لم يتغير في ذلك كله الا ميدان القتال وقد كان شبح الحرب يهدد سلام أوروبا سنة ١٩١٠ ، وكنا نتوقع أن ينقض علينا حاملا منجل الحصاد ثم كانت الكارثة العظمى سنة ١٩١٤ . وهنا نتساءل هل نحن الآن فى مأمن من الحرب اكثر مما كنا من قبل ؟ ولم يكن اختيار سياسة التفاهم وما عقبها المؤتمرات الصغيرة والمناقشات ومظاهرات الفرد والوئام ، الا محاولة قصد بها تخفيف من هول ذلك الشبح ، لا القضاء عليه. ومازالت المصانع تخرج لنا الدبابات والسفن المدرعة فى كل انحاء العالم

وثانى هذه المسائل هو عجز الديموقراطية الحديثة عن معالجة المسألة المالية فمن الواضح البين الذى لايختلف فيه اثنان أن سير المدنية الحديثة نحو التقدم مشروط على وجود أساس ثابت للنقد العالمى. ومادام النقد متقلبا متغيرا فستقضى المضاربة على كل مشروع اقتصادى سليم وتحل محل العمل الجدى للربح الحلال ، ونحن الآن نشاهد منذ ثمان سنين بورصات العالم تتقلب وتتدافع وتتجاذب كما فى بهو الرقص ، وقد قضى هذا التهافت الجنونى على المال على كل مجهود نحو إنعاش العالم الاقتصادى. وقد سارت كل حكومة ديمقراطية فى سياستها حسب هداها ومصلحتها . فى حين أن أصحاب الاموال كانوا يقومون بعملياتهم الخفية فى الظلام ولم يفقه الرجل العادى ذو الحقوق السياسية فى أية هيئة ديموقراطية الادوار والعمليات التى انتجت العطلة فى بلاده وقضت على ما ادخره من مال وصيرت ضرورات الحياة فوق متناوله . بين أن تسلط الروح الحربية على العالم ما يصحبها من تلويح بالحرب فى كل وقت والمشاكل المالية التى لم نجد منها مخرجا ليست الاعوامل تزيد مشكلة العالم العامة تعقيدا لتلك المشكلة . التى تنحصر فى أن المياه الاقتصادية قد أصبحت متشابكة بين أطراف العالم تبعا للتغير الذى طرأ على طرق النقل وتقدم العلم والاختراع . وبذلك اتسعت دائرة الحياة الاقتصادية وأصبح ميدان العمل الاقتصادى مترامى الاطراف وصارت طريقة الصانع الفردى والتاجر الذى يعتمد على رأس ماله ، حتى والشركة ذات رأس المال المتوسط ، بل والجماعات المحصور رأس مالها فى بلد واحد ، مهددة بالزوال منذرة لسوء المنقلب فى كل منتوجاتها الرئيسية ، اذ تحاول القضاء عليها جماعات ذات رأس مال دولى .

إن المشكلة الكبرى التى تواجه الجنس البشرى الآن تنحصر فى البحث عن كيفية الوصول الى وحدة العالم الاقتصادية ؟ كيف ننتج نظاما لجماعات الاحتكار العالمى نقلل به عناء التجاريب العمياء الى أبسط حد . وبدون أن يظهر ملايين الاحوال وعدد لايحصى من أجيال البشر فى أتون هذا التجديد الذى لابد منه ؟ كيف الوصول الى تكوين وحدة سياسية فى هذا العالم تكون من

الكفاية على قدر يستتب معه سلام العالم ، وننقذ الصناعة والتجارة من ان تتحول الى عوامل للمقامرة بالنقد العالمى ونشرف على توزيع المواد الاولية ، ونسوس مسألة القضاء على العطلة والمصنوعات فى أنحاء العالم ؟ هذه باختصار هى المسائل التى تواجه ذكاءنا وحنكتنا . وليس هناك حكومات ولا هيئات فى العالم هى من الكفاية بحيث تعالج هذا الثالوث من المسائل . أبو الهول ذى الرءوس الثلاثة الوابض امام الجنس البشرى . والآن ماهو الحل لهذه المشكلة ، مشكلة عجز الحكومات الديموقراطية الحديثةعن معالجة المهام التى تواجهها ، والتى تزداد حدة وتعقيدا ، وقد أصبحنا واقفين على مشاريع عدة لاصلاح نظام الانتخابات ؟

من هذه الاصطلاحات ، كالاستفتاء الشعبى وما يجرى مجراه ، مالا يرمى الى شىء الا الى كبح جماح الحكومات وشل سلطتها . ومنها إنشاء مجالس نيابية صغيرة ينتخب نوابها عن دوائر نيابية واسعة النطاق بواسطة الانتخاب النسبى على قاعدة الصوت المتنقل (الذى يمكن نقله من دائرة لاخرى) تعطينا مجالس أكثر حرية ونشاطاً وتسير بنا شوطاً كبيراً فى إلغاء الاحزاب السياسية ، والقضاء على محترفى السياسة ، ولا شبهة فى أن هذه الاصلاحات فى نظم الانتخابات ليست بعيدة الغور لتفضى على مساوىء الديموقراطية الحديثة التى تنحصر فى عدم المبالاة التى يبديها الرجل العادى نحو الشؤون العامة ، فضلا عن الجهل والعجز ويجدر بنا أن نعترف أن الرجل العادى الذى له حق التصويت لا يبالى بالصوت الذى يعطيه ،اذ ليس ثمة علاقة فى مخيلته بين صوته والعالم الخارجى . وهو لا يستخدمه للتعبير عن ارادته وأغراضه نحو تسيير شؤون الدنيا . وقد أسلفت أن القصة وهى اداة التعبير الخاصة عما يجيش فى صدر الديموقراطية الحديثة. وكذلك الرواية التمثيلية لاتبالى بالنظريات السياسية الشاملة ولا الآراء الدينية .

انهما أنما تعبران تعبيراً صادقا عن شؤون العالم الجارية وهاتان الأداتين ، القصة والرواية التمثيلية ،لم تحويه نظريات جديدة ، أوتصورات عن العالم مستحدثه بل اقتصرا على تمثيل الحياة باوسع معانيها طليقة من القيود الوضعية.وان حكوماتنا الديموقراطية لتكشف لنا عن الحقيقة التى لامراء فيها التى تدل على ان سلطان

الديموقراطية الحديثة لم يكن معناه نقل السلطة من الاقلية للاكثرية ، بل زوال السلطة من العالم كلية . فصوت الرجل العادى اداة دفاع ، وليس اداة بناء ، ولما واجهت الديموقراطية السياسية مايتطلبه العالم من برنامج واسع النطاق مؤسس على احتياجات للتشييد والبناء ذات خطورة متزايدة ، تبين للعالم فشلها اذ عجزت عن انشاء حكومات ذوات قوة في الابتكار والخلق . حكومات ذوات عزم واقدام. حكومات ذوات ادراك و بصيرة . لاحكومات ينتهى غرضها طرد حكومات اخرى على أثر انتخابات عامة ، وهو عمل مؤسس على الهوى والغرض . وقد سار العالم قرنا نجحت فيه الحكومات الضعيفة ذات النظام الضئيل وفى وسط هذه الحرية قد تبوأ العلم مكانه ؛ و بسطت الابحاث العلمية سلطانها فتناولت العالم باسره وشادت لها مكانا حصينا . وقد بلغت الموسيقى شاءوا عظيما ، وسما التصوير الى مستوى رفيع من الصناعة والفن ؛ وازدادت الآداب جرأة فى التعبير . بينما تكونت فى ميدان الصناعة والتجارة هيئات ومجموعات من الاعمال لم تكن تسمح بها روح الرقابة الرسمية . على ان مجرد هدم النظم العتيقة البالية المعطلة والانفلات من التقاليد العاتية والامتيازات ، كل ذلك أدى إلى اتساع نطاق الحياة الذى بدأ فى الازدياد منذ القرن السادس عشر . غير أن هناك حد لذلك التوسع الذى يسير على غير هدى وارشاد ودون رقابة . ويخيل إلى أنه مما ساعد على بلوغنا هذا الحد شبح الحزب والتقلقل المالى والنزاع الذى ينشب بين آونة وأخرى بين نمو النظم الاقتصادية ووظائفها ، و بين ميل العامل الى الحرية والسعادة مما لم تقو اية حكومة فى العالم على مواجهته لعجزها وانعدام قوة الابتكار فيها . واصبحنا فى حاجة الى قيادة تسير بنا فى سبل اكثر وضوحا وسدادا ، وذلك على قدر ما للمسائل الثلاث الهائلة التى تواجه العالم الآن من خطورة .

من اللغو التحدث للرجوع الى الملكيات الضئيلة والارستوقراطية وغير ذلك من النظم السائدة الى ماقبل عصر الديموقراطيات . لهذا نتساءل هل لم يلح بعد فى سماء السياسة التجريبية شكل من أشكال الحكومة اكثر قوة على البناء والتشييد ؟ وهنا أرد على ذلك بالايجاب . فانا مقبلون على عصر اعادة النظر في

لديموقراطية . ولما كانت الحوادث المقبلة يمتد خيالها قبل وقوعها ، فالعين البصيرة لاشك تميز فى الافق خيالات ماهو آت . بيد أن من بين هذه الاشباح التى يتخايل فى الآفاق البعيدة اريد أن الفت النظر بشكل خاص خيالين أو شيخين الأول الحزب الشيوعي ؟ والثانى الفاشزم . وهنا يجب أن انبه على أنى من النقاد المعادين للشيوعية على طريقة كارل ماركس دون هوادة ، وفى الوقت نفسه امقت أوجه شتى للمذهب الفاشستى و يشمل ذلك بوجه خاص الرأس الذى تقوم عليه .

ومع انى لست من الذين ينظرون الى الاشياء بمنظار أسود ، الا انى لااخفى كراهيتى للآراء الشيوعية حتى أن نقدى لمبادىء الشيوعية الماركسية (بنسبة لكارك ماركس) ولينين قد أدت الى تناول تروتسكي اياى بالتأنيب العنيف وقد اشتبكت مع زعماء الفاشستى كذلك فى صراع عنيف . بيد أن مناقشتى لن تتناول هاتين الحركتين ومراميهما من الوجهة العقلية بل روحيهما ونظامها وكلتاهما مستمدتان من شبيبة القوم ، أما نظامهما فمن الديموقراطية بحيث يسمح لكائن من كان أن ينتظم في سلكيهما مادام خاضعا لتعاليمهما قابلا للنظام الذى يفرض عليه والذى يتغلغل فى شؤون حياة الانسان بحيث يتسلط على حياة الفرد تسلطا يكاد يفوق ماتتطلبه الروح في عصرنا الحالى من السلطة المطلقة ، حتى أن الشيوعية تدعى الآن بأنها حلت محل الدين تماما . وبحيث تخضع كل الاعتبارات لهذا الاعتبار ، حتى ان الايطالى يعتقد أن الفاشزم تجرواءها الخير العميم لايطاليا الذى تنقطع اسبابه دونها . وكذلك لشيوعى ينادى بأنه لايستقيم توازن العالم دون معتقده وقد بدأت الحركتان كهيئتين اختياريتين قامتا على أكتاف الشبان يحركهم وازع من الغيرة على الشئون العامة والصالح العام بحيث يقبلون التضحيات و يواجهون الاخطار التى تنجم عن هذا التطوع . وأرى أنه من الحقائق ذات الخطر والهول الكبير أن فى مقدور الفاشزم أن تجذب اليها من الشبان النشطين عدداً قادراً على التسلط على ايطاليا باسرها والقبض على زمام الاحكام فيها وتوطيد مركزه في البلاد . كما أن في استطاعة الشيوعية فى روسيا أن تضطلع باعباء الحكم فى تلك البلاد التى خربتها الحرب العامة معتمدة على مائة الف

او مايقرب من ذلك من انصارها ورد غائلة العدوان عنها من كل جانب . ويجب علينا التسليم رغم مكابرة الكثيرين أن السواد الاعظم في روسيا وايطاليا لاينفر من التسلط المطلق الذى يفرضه احد هذين النظامين . ورغماً عن أن الكثيرين قد حرموا حق التصويت فى هذين البلدين فانه لم تتفش فيهما مجاعة أصوات ولم تر قروبين متعبين في البحث عن مكان تسجيل الاصوات . ولذلك فتقريرنا للحقيقة التى اسلفناها وهى ان الرجل العادى المتمتع بحق التصويت لايبالى شيئاً مابصوته الذى يعطيه . ولا بالصالح العام . ليس إلا تكملة للحقيقة الراهنة التى لاتقل خطرا عن الاولى وهو ان هناك أقلية نشيطة التفكير والادراك قادرة على العناية بالشؤون العامة عناية حقة حية . ولذا فهى مستعدة لبذل كل تضحية لتسير الامور فى السبل التى تعتقدها حقه . وهذا أكثر وضوحا فى روسيا وايطاليا منه فى غيرها فى حين انه في الصين هيئات الطلبة التى تشبه أنظمة الشيوعية فى روسيا والفاشستى فى ايطاليا وقد ساد سلطانها في أكثر من نصف البلاد . بينما هناك جماعات نشيطة رشيدة مماثلة لهذه فى اليابان وبعض البلاد الاخرى تلعب دورا هاما فى الشئون العامة يزداد خطره كل يوم . ولم تكن هذه الجماعات لتنشط وتشجع في القرن التاسع عشر، أوكان نشاطها قاصرا على السياسة البرلمانية مزجوجا به فى ميادين أخر. ولقد نرى فى جميع أنحاء العالم فريقا من هؤلاء يحول نشاطه عن ميدان الكفاح البرلمانى وتشدد خطاه نحو سبل أخرى فى ميدان الصراع مع النظم البرلمانية . من ذلك يتضح انى أبنى آمالى فى تكوين اتجاه جديد فى شئون العالم على عقيدتى فى ان هناك أقلية جادة ذات خطر وسط السواد الاعظم من أبناء جنسنا القليل الاكتراث بطبيعته

إنى أعجز عن تفهم سبب حقيقى فى وجود كافة الديانات العظيمة فى الدنيا ، ولست بقادر على تكييف أية عملية انشائية فى التاريخ ، مالم أفرض وجود أقلية جادة رشيدة كهذه وسط معمعان حياتنا المضطرب . فهؤلاء الرجال القادرون على التضحية والاخلاص ، القادرون على ان يحيوا لتحقيق أغراض سامية بعيدة عن آفاق السواد ، هؤلاء هم ملح الحياة . وما لم يتغير معدن الجنس الانسانى فهؤلاء

كثيرون كما فى أى زمان مضى . بيد أنى أرى هؤلاء يزداد تبرمهم من الاحوال الحاضرة . ويزداد اخلاصهم للمبادىء التى راضوا نفسهم على التعلق بها وللعقائد الموروثة. وأرى فيهم الاستعداد للبناء حول أية فكرة انشائية متى كانت من القوة بحيث تقنعهم . وحينئذ فهلا يكون من المعقول التسليم بان هذه الهيئات والمجتمعات ، وهذا التركيز القوى ذى النشاط الفكرى الذى يرمى الى خدمة الاغراض السياسية العليا . وهذه النهضة الجامعة بين الحرارة السياسيه والغيرة الشبيهة بالدينية فى المجتمع والتى بلغت قوة هائلة فى عصرنا هذا ـ أليس ذلك كله دليلا على بدايات لاشياء نحن مقبلون عليها ، سوف تكون أكثر أهمية وأشد خطراً من كل ماسبقها من البدايات ؟

وان انهيار الاخلاص للمبادىء القديمة قد أطلق من العقال مجهودات وقوى جديدة ، ونشط الآمال فى تطبيقات جديدة . وهناك فوق كل هذا حاجة العالم الى السلام الذى لن يتحقق الا بتكوين شكل ما من الوحدة السياسية باعادة التآلف الاجتماعى الذى لن يتم دون تناول كبريات المسائل الاقتصادية الشاملة فى أنحاء العالم وتوحيدها داخل نظام شامل عظيم .

***

لقد أنبت منذ أكثر من عشرين سنة مضين فى كتابى « طوبى العالم الحديث » كيف يمكن أن تتكون على الارض دولة عالمية تحكمها جماعة من المتطوعين الذين نصبوا نفسهم لشؤون الصالح العام وقت لم تكن ثمة حقيقة فى هذا الكون تؤيد مبدئى . ويمكننى الآن أن أتذكر هذا التصور لما يكون عليه المجتمع في المستقبل ، وامامى الامثال التى تضربها روسيا والصين وايطاليا وغير ذلك من الحركات العالمية التى منها ماهو فى المهد ومنها مادرج شابا يناصر رأيى . وقد اشرت الى أن بعض هذه الحركات يقوم على أكتاف الشبيبة كما فى ايطاليا والصين بيد أنه لن يقتصر الأمر على الشبان ، بل سوف نجد قبولا ممن هم اسن في توجيه آمالهم واغراضهم ومرامى حياتهم المشتتة بين شتى الغايات نحو مطامح سامية وآراء واسعة الآفاق . ويمكنك أن تثير فى الشيوخ آلاماً وشجوناً

متولدة عن الاحساس بضآلة مايدينون به وتبيان الغث من المعتقدات الراهنة والشعور بالخطر الذى يكتنفنا من الحياة فى ظلال هاتيك المبادىء العتيقة المتداعية . وما زالت الأمم تنظر إلى حياة ارقى واسمى وما زال البحث عن المثل العليا يعالج نفوسنا حتى الممات . وقصارى القول انا في حاجة الى عناصر من الانسانية أكثر نشاطاً وأشد فتوة للسير بهذه الحركات في نظام وليد ناشىء حررناه من تقاليد قديمة بالية . وقد اصبحت الحاجة ماسة للقيام بهذه الحركات ، ومازلنا بعد فى دور البدء في تكوين الافكار وخلقها وتعبئة الجهود . ولكن ماهى العوائق التى تحول دون نهضة سياسية ودينية نحو وحدة العالم الاجتماعية تقوم بها فى كل مكان الاقلية النشيطة المدركة المبصرة الجريئة من البشرية (وهذه الاقلية بهذا الوصف هي وحدها الجديرة بالاعتبار) . حتى ولو لم يحن الوقت لها بعد ؟ ان هذا جوهر ما ارمى اليه الآن . وهذا ما اعبر به عن أن وجه الديموقراطية المحررة الناهضة قد آذن بمغيب عند حد هذا الاعتبار وهذه المهمة . وعلى اننا فى مستهل وجه آخر وهو الديموقراطية الانشائية الخالقة . وهذا وجه روحى عظيم . واذا شئت أن تصل بين هذا الوجه أو هذا التصور و بين أية ديانة ديموقراطية كالمسيحية أو الاسلام أو البوذية أو مايشبهها كالشيوعية — او سمها ديانة التقدم — فقل عنها ماشئت ولن يحول ذلك دون ذكر اى رأى سردته من قبل . واذا اصاب تشخيصى للداء الاجتماعى فسيصبح هذا التحرك والتطور فى روح الديموقراطية باد فى كل أشكال التعبير الانسانى — لتحول من الجزئيات والنفسيات للكليات ومن التشتيت للتجمع والتكون

ومن عدم السداد أن لانصوب نحو هدف ثابت يشمل الكون باسره .

وهنا اتساءل هل هذا واقع حقا — هل هناك في الحياة السياسية ميل يسود أولى الادراك والبصيرة من القوم يقذف بهم نحو التبرم وعدم الرضى بالدور السالب الذى يمثلونه كمصوتين في الانتخابات لاغير، وان هناك عزما على ان تكون لهم يد فى تسيير دفة الامور بشتى الوسائل ، وأن تكون لهم ارادة انفذ واثر أبعد فى الشؤون العادية ؟ وفى ميدان الحياة العقلية ، هل هناك ميل يزداد كل يوم

لمناقشة شؤون العـالم سياسية واجتماعية واقتصادية — هل تتزايد المطبوعات التى تعنى بهـذا البحث ؟ هل هنـاك اهتمام اكثر حيوية وادراكا لهذه المتاعب والشجون العالمية ؟ فاذا أصابت نظريتى كبد الصواب فسوف تتغير روح القصة الرواية التمثيلية . وسوف يعنيان بالمهام السامية . وسوف يكون موقفهما ازاء شؤون الحياة من الجد والحرارة بحيث يشبه الروح الدينية . اى أن شؤون الحياة ستكون جزئا حيويا من قصة العالم وشجونه . ولن تـكون القصة فى المستقبل كما كانت مرآة حوادث لاتعتمد فى جدتها وحيويتها إلا على المصادفات وغريب الصفات الفردية للبشر

بل سوف تسير حوادثها نحو تحديد غرض أوما أنعته بجراءة — نحو « الدعاية الانشائية » وسوف يتخلل حوادثها روح التساؤل — « ماذا ترمى اليه حوادث هؤلاء الاشخاص » ؟ « والى أين هم مسـيرون » ؟ وسوف يشمل هذا ، القصة التمثيلية — فلن تصبح القصة الدائرة بمهارة السبك نحو موقف هام أو شخصية بارزة . أفليست رواية برناردشو (سانت جون) وقصة تولر (الانسان والجماعات) بشيران ببزوغ شمس الديموقراطية الانشائية على مسرح التمثيل ؟

أفليس هناك ماينبىء بانا مقبلون في التصوير والتمثيل على التحول والتطور من التصوير البحت والموسيقى البحتة الى عمق فى التعبير والمرمى والاشارة الى شجون العالم واحزانه ومتاعبه ؟

ليس كل هـذا الا تأولات . وما أجهدت نفسى الا لعرض هذه الوجوه الجديدة فى حياة البشر مما نحن عليه مقبلون ، والتنبؤ عن الروح الجديدة التى أعتقد أنها ستسير خطواتنا وتعبر عن شجوننا فى مقتبل زماننا .

العصور — نخشى أن تؤثر نظريات مستر « ولز » في بعض العقول تأثيراً يحملها على الاعتقاد بأن « الاقلية » التى يبنى عليها نظريته قد يمكن أن توجد خارج البرلمـان . فان هذه الاقلية لابد من أن تنبت بين جدران مجالس النيابة وهي قد تبلغ التأثير في تعبير وجهات النظر والتشييد في مجال السياسة والادب والفنون مبلغاً ذا خطر الا اذا تكونت هذه « الاقلية » النشيطة الرشيدة في جسم

حزب الاغلبية . فهى اقلية تقود احزاب الاغلبية وتقود من هذه الطريق الامم. اما اذا خيل لاحد أن الاقلية التى يعنيها مستر « ولز » هي على الضد من هذا اخطأ خطأ كبيراً يبعده عن تفهم حقيقة الروح التى أراد أن يبثها في بحثه هذا

رباعيات الخيام

بقلم الفيلسوف الزهاوى

طبع شاعر العراق الكبير السيد جميل صدقى الزهاوى رباعيات عمر الخيام الفيلسوف الفارسى المشهور بعد أن ترجمها نثراً وشعراً . ولقد قابلنا هذه الترجمة ببعض التراجم التى ظهرت فى العربية والترجمة الانجليزية لفتزجرالد .فوجدنا فارقا كبيراً بين المعانى وترتيب الرباعيات نفسها لم ندرك له من سبب ولعله يتاح لنا فرصة أخرى نقوم فيها بمقارنة هذه الرباعيات . وسننشر فى العدد القادم من العصور ترجمة الرباعيات للزهاوى ليكون بين يدينا مجموعة من التراجم التى ترجمتها هذه القصيدة المشهورة ، وعسى أن تمكننا الظروف على العثور على مصادر تسهل لنا طريق البحث فنمضى فيه بتوسع .

ولقد ترجم السيد الزهاوى نسخته عن الفارسية فقد نشر مافى صلب ديوانه (الرباعيات) الاصل الفارسى والترجمة نثراً وشعراً . والترجمة من حيث النثر والشعر جلية واضحة ككل ما يخرج من قلم فيلسوف العراق . وموعدنا العدد القادم .

هرطقة

والعياذ بالله

جاء فى «تقويم البلدان» الذى يدرس فى الوقت الحاضر بالجامعة الازهرية العامرة ان النيل يخرج من الجنة وان منبعه يتدفق من تحت العرش والازهر الشريف كما يعلم الصغير قبل الكبير والاعمى قبل البصير هو خلية النحل التى يقصدها المجدون من كافة اطراف المعمورة لنهل عسل العلم ثم توزيعه على خلائق الله بالقسطاس والعدل وبالطبع لايدرس فى الازهر العامر الا كل ماذكره السلف الصالح . وهل نطقوا الا دررا غواليا لايزيدها مرور الزمن الا صقلا وزيادة فى القيمة

واذا كان الامر كما سبق وذكرت الا يعد من الهرطقة والعياذ بالله محاولة البعض تفنيد هذا الاثر المبارك . وهلا يستحق اولئك لعنة الله فى الدارين ؟ اللهم احفظنا مؤمنين وابعد عنا الشك والكفر انك على كل شيء قدير

ان في تقاويم البلدان التى تتداولها ايدى النشء في المدارس النظامية محاولة غبية لاثبات مايخالف بديهية خروج النيل من الجنة وتدفقه من تحت العرش وليست المدارس المصرية وحدها هى التى تنشر هذا الالحاد بل نجده في كل الجامعات والكليات والمدارس حتى المكاتب الاولية المنتشرة فى مشارق الارض ومغاربها شمالها وجنوبها وذلك بين جميع الجنسيات اصحاب اللغات المختلفة والاديان المتنوعة وحتى اتباع الدين الحنيف قد استسلموا لتيار هذا الالحاد. نطلب من الله لهم الهداية

يدعى اولئك المنافقون الكفرة الملحدون الهراطقة ان رجلا كافرا غير مسلم — تذكر هذا يارعاك الله وتألم منه قدر ماتريد وتشاء — واظنه مسيحيا ايضا — لاتنسى هذا — وعلى ما اتذكر ان جنسيته انجليزية ، وليس من مواليد مهبط الانبياء ، يدعونه استانلى ـ هكذا اظن — وهو اعجمى ـ ليس بعربى قرشى توصل الى اكتشاف منبع النيل . فكيف وطأت قدماه النجستان ارض الجنة المقدسة بل كيف لم تفقأ عيناه عند ما رفع بصره الى السماء راصدا نجومها لاجل

تعيين خطوط الطول والعرض إذ لابد أنه فعل ذلك . فهل رأى جلال العرش الامر الذى لم تره عينان ولم تسمع به اذنان . ولكن من يدرى فقد يكون ذلك الكاذب الغر الابله قد ادعى ايضا انه رأى الذى يستوى على العرش . ياللكفر ، يا للالحاد ، استغفر الله ثلاث مرات ، فانا ناقل فقط وناقل الكفر ليس بكافر

كذلك يدعى الرجل الدجال انه خالط ودرس احوال سكان الجنة فاذا هم في رأيه سود الوجوه ضخام الشفاه اغبياء كسالى يهيمون كالبهائم ولا يعرفون الآله العزيز الجبار فهل يصدق مؤمن ان هؤلاء النفر هم الطهرة الابرار الذين يتنعمون بالطيبات ويكرعون الكؤوس بين الحور والولدان المخلدين ؟

رحمتك يابارئ الخلق فلست ارمى الى شيء غير توجيه نظر العلماء الاعلام الى محاربة الهرطقة وتكذيب هذه السفاسف التى تملأ رءوس اطفالنا فى المدارس النظامية تحت سمع الحكومة وبصرها

ان كذب هذا الستنالى ظاهراً أكيد والا فلم لم يتابع سفره من هناك متتبعا دجلة والفرات وسيحون وجيحون وهى الانهار التى تنبع من الجنة أيضا؟ فكان بالاقل يمر على بغداد والبصرة وهمذان الى أن يكتشف أيضاً ما وراء السند حيث يسكن الغيلان ولم لم يدعى أنه دارحول جبل قاف وأخضع يأجوج ومأجوج ثم عبر بحر الظلومات وارتد الى مصر عن طريق بلاد البربر ؟ كذب ، نفاق ، غباء ، وحق الله أيها المسلمون نوحوا بالويل والثبور . وعظائم الامور . فقد انهد ركن الاسلام بمهاجمة الطغام لتعاليم الازهر العامر الذى أشاده الملك القاهر فى عهده الزاهر

وهل هناك من يجرأ على السكوت وبرنامج مدارسنا التى يتربى فيها النشء يحوى هذا الضلال ؟ وادينناه ! وأخجلاه من تقاعسنا

أيها الكذبة ان كان حقا ما تدعون لم مر على الجنة بن بطوطة فى طريقه من المغرب الى المشرق وهل هناك اثبات على كذب الفرنجة المدعين العلم أكبر من عدم ذكرالجنة في رحلة ابن بطوطة ؟

وبالطبع طفح ستانلى هذا من طيبات الجنة وشرب من مائها الكافورى المذاق اللذيذ الطعم وارتوى من نهرى العسل واللبن فكيف مات اذن كما

تدعون ، لعنة الله على الكاذبين ؟ الا فاعلموا أن من ينهل مما حوته تلك الانهار يخلد الى أن يشاء الله شابا لا يداهمه مرض ولا شيخوخة

كذب . . أجل كذب كل الذى تدعون . الستم من ادعى أن مياه النيل ملوث بمكروبات البلهارسيا و الانكلستوما هل تصدقون ذلك عن المياه المنحدرة من الجنة المقدسة التى فيها شفاء للناس ؟ يا للفظاعة ! الا تشاهدون باعينكم مياه النيل البلورية ؟ الا تذوقون طعمها الحلو الشافى من الامراض ، المريح من عذاب الحياة ؟ صبراً صبراً فسيظهر الحق و يزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

ليحيا الازهر بعلومه ولتسقط المدنية العصرية بسخافاتها وهجصها ! . علومك يا أزهرى أرقى من علوم كمبردج

ومالك أيها القارىء تذهب بعيدا أو هذه أهرام مصر تشمخ بانفها نحو السماء عبرة وذكرى لأولى الالباب علهم يتدبرون . ألم يدعى المصرولوجيون بلسان العالم المبتدع والمفكر المصرى الفيلسوف زعيم النهضة العلمية الحديثة فى الشرق وحامل لواء العرفان ان خوفو وغير خوفو هم الذين بنوا هذه الصخور الشاهقة؟ إنها لا تعمى الاعين و لكنها تعمى القلوب التى في الصدور . الا يعلم أولئك المدعون أن بانى الاهرام لا أحد الا عملاق بن درماق وكان طوله مائة ألف ألف ذراع وكان عرضه يحجب ضوء الشمس عن ظهر الارض . بناها ظنا منه أن يتخذها موطئا لقدمه ليتيسر له تحريك النجوم باصابعه فضربه الله ضربة قاضية وسخطه جماداً . ودفن تسعاً وتسعين جزأ من جسمه في الرمال وأبقى الجزء الباقى على سطح الارض عسى أن يعتبر أولو الالباب . فهل يتفضل مشعل العلم المضىء ظلمة الجهل الشرقى كما يدعى بنقض كلمة مما ذكرت وله منى الشكر سلفا

أيها الكذبة الاغبياء اعلموا أن للاولياء دون غيرهم أربعين جسدا . وان ولى الله الجيلانى غفر الله عنه هو المخلوق الوحيد الذى« شافه بنفسه العرش اذ زهى مرة بمكانته فانتهض يخفق بجناحيه كانما زر على جسمانه ريش قشعم فكان بذلك أول طيار من بنى الانسان ومضى يعزى كبد السماء فلكت جبريل نعرة منه فغمزه غمزا بسيطا بجناحه فخر الولى يهوى بها الى الارض . ولولا لطف الله به فتلقفه

حامى طنطا السيد البدوى على يده حين كان السيد وليدا يلعب مع لداته ونبهه الى أن لا يعود بعد ذلك الى الزهو لصادمت رأس الولى الجيلانى الارض وربما يكون قد نتج عن سقوطه رض بسيط أو تسلخ فى جلد جبهته قيد شعره أو بالاقل اتسخت أثوابه من تراب الارض لو مسه بجلده الطاهر ؟

حسين محمود

العصور : ان من البيان لسحراً وان من هذا البحث العلمى المحكم لحكمه . ولكن الا يجوز أن يكون استاذى هو ولى الله الجيلانى .



غريزة الجنس (١)

يحدث التوالد النوعى بامتزاج خلية حية منقطعة من جسم ذكر باخرى منقطعة من جسم انثى . ومن هاتين الخليتين ينشأ الجنين ويأخذ في التطور . وتتحكم فى المملكة الحيوانية غريزة تدفع أفراد كل من الجنسين الى التقرب من أفراد الجنس الآخر ، وذلك فى الوقت المناسب ، لاجراء عملية التلقيح .

ويكون التلقيح على أبسطه بين الاسماك اذ يفرز الذكر مادته المنوية قريباً من الانثى فى الوقت الذى تفرز هى فيه بويضاتها فيجذب الافرازان بعضهما. هذا هو ابسط مظهر لاندفاع كل من الجنسين للعمل على استبقاء واكثار النوع

وتكون جاذبية الذكر غالباً ايجابية فى حين أن الانثى تقوم غالباً بعملية الجذب بطريقة سلبية فالذكر يطارد والانثى تستدرج

ومن السهل التفريق بين افراد الجنسين من أى نوع ويكون الفرق هذا واضحاً فى الحجم او فى تضخم عضو من الاعضاء كالاذن أو ببروز الاعضاء التناسلية فيسهل على المشاهد رؤيتها

وتتم عملية التلقيح المركب بحركات متتابعة تظهر كل منها بمظهر يخالف ماسواها. ففى الحيوانات الثديية مثلا يحتاج الامر بعد المطاردة والاستدراج الى محاولة غرضها افراز خليات الذكر الحية قريباً بقدر الامكان من مستكن بويضات الانثى لان ذلك لا بد منه اذا كان المراد ان يكون التلقيح مثمراً والسبب هو ان البويضات لاتجد لها بيئة صالحة للنمو الا حيث تفرزها الام . ولكي يسهل على الذكر القيام بهذه العملية تهبه الطبيعة عضواً يسهل به تلقيح عضو الانثى المتهيء لاقتباله والحاوى للحرارة الصالحة لنشوء الجنين فيها

كلما زاد ارتقاء الحيوان ازداد تنوع غريزته واصبح اكثر ميلا للانهماك فى اللذة الجنسية ولذلك نجده يتبع طرقا شتى ومحاولات مختلفة ويمكن ملاحظة

---

(١) ملخصة من كتاب النفسية الاجتماعية لوليم مكدوجال ومن كتاب آخر لطبيب المانى عنوانه « النفسية الجنسية » اخذت مذكرات عن ترجمته الانكليزية ولكنى لسوء الحظ نسيت أن احتفظ باسم المؤلف

ذلك بسهولة من مراقبة الحيوانات الاقل رقيا . وهى تلبى دعوة الطبيعة في فصول معينة من السنة فقط . ولكن يحدث في الحيوانات الراقية تهيج فى الاعصاب يسبق عملية التلقيح وتتفاوت مدة هذا التهيج فى القصر والطول بتفاوت درجة الرقى . وقد اندمج فى الغرائز الجنسية لهذه الحيوانات الراقية نوع من العواطف اصبح بمرور الزمن يختلف عن العواطف الخالصة وبذلك كادت ان تكون غريزية راقية . فالتقبيل ليس أكثر من تعبير آلى عن وجود الحب الجنسى الذى هو مزيج من الحب الخالص المؤسس على الغيرية بانانية تدعوا اليها الغريزة الطبيعية

والحب الجنسى هو خطوة تسبق دائماً خطوة التلاقح ويظهر فى الفرد من الناس فى سن يسبق العمر الذى تتجلى فيه الغريزة الجنسية . فالطفل يندفع إلى تقبيل الانثى الجذابة المنظر تلبية لاهاجتها غريزة الجنس فيه وانك لترى بوادر الميل الجنسى متجلية في الاطفال فهم ميالون فى سن مبكرة الى مصاحبة أفراد من الجنس الآخر ويحاول كل فرد منهم الظهور بمظهر التفوق على امثاله . وكثيراً ماترى الولد القليل (أو العديم) الخبرة بالمسائل الجنسية مندفعاً بقوة غيرمنظورة الى احضان فرد من الجنس الآخر ويتم ذلك على خطوات فيحاول اولا الوجود بقرب أليفته ثم بعد ذلك يتبعها كظلها وتعقب ذلك محاولة منه لملامستها وحتى هذه الخطوة ينحصر اظهار الميل الجنسى فى صورة هى الشعور بعدم الراحة وفقدان مالا يعرف ماهيته . لكن سرعان ماتنبهه الغريزة الى الاقدام للتعبير الآلى عما تكنه عواطفه وذلك بالتقبيل وبالطبع تكون النتيجة اللازمة انهاء عملية التلقيح

يقول الاستاذ فرود ان اللذة الجنسية كائنة حتى فى الطفل اذ يشعر الذكر الصغير بها حين يلقى بنفسه بين احضان والدته وكذلك الانثى الصغيرة تشعر بنفس الشعور بين أحضان والدها ولكن مكدوجال لايسلم بهذا الرأى على أساس ان اختباراته لم تبين له أن هناك أى فرق بين مظهر الابن فى يد أمه ومظهر الابنة فى يد أمها وبين مظهر يهما فى يد الوالد

ولكنه يؤيد فراود فى رأيه من أن الخجل فى سن السادسة قد يكون مظهراً لتنبه الغريزة فى الطفل و يوصي بالعمل على تأخير عهد اشتعالها وذلك بتوجيه نظر الصغير نحو الامثال العليا ونحو الالعاب الرياضية أو بتحويل ميل الطفل إلى اكبار الامومة اوالاخوة . ولكن ذلك لن يدوم الا فترة محدودة تتنبه بعدها غريزته

وهناك نوع آخر من اللذة الجنسية تنحصر في التخيل وظاهرة هذا النوع من اللذة هو الانغماس فى الموسيقى والغناء والشعر سواء كان منثوراً أو منظوماً . وهذا نوع من التهيج الفكرى الذى يحدث كنتيجة لعدم امكان الشخص العثور على هدف يجذبه . وقد ينتج أيضاً عن الحاجة إلى تجارب . ونوع اللذة هذا يسبق دائماً عملية التنفيذ الأمر الذى لابد من حدوثه فى وقت من الاوقات . وينصح مكدوجال بعدم السعى لاضعاف هذه الغريزة فى الناس لان في ذلك معنى لاندثار النسل

ويتسبب عن فصل الجنسين عن بعضهما توجيه هذه الغريزة الى وجهة ليست مثمرة هى الاختلاط الجنسى الشاذ الذى يتم بين فردين من نفس الجنس . فعندما لا تجد عاطفة الشخص الشبه غريزيه مجالا لاطفاء جذوتها باى طريقه من الطرق السالفة وذلك كنتيجه للفصل بين الجنسين — تتحول نحو فرد من نفس الجنس ويتم الاتصال باكثر سهولة . لان عاطفة الميل الى الجميل اذا تملكت فردا تيسر له الاتصال بالمتصف بالجمال إذا كان من نفس الجنس بسهولة . ذلك لان طبيعة الاستدراج فى الجميل تكون مفقودة فى هذه الحالة والملامسة تكون سهلة بالطبع . وعلى ذلك يتم الاختلاط بسرعة زائدة خصوصا اذا كان الشخص الاخر سلبى بطبيعته ومن النادر جدا ان ياخذ الغزل والصبابه وقتا طويلا فى مثل هذه الاحوال . لان عملية الاستدراج التى هى من خاصيات الانثى تكاد تكون معدومه وما يقع لايكون اكثر من العمل لاطفاء شهوة جامحة . وقد يصادف ان يمس الطفل عضو الجنس فيشعر بلذة تحرضه على مداومة مسه ومن رأى مكدوجال ان هذه ليست القاعدة اما المؤلف الالمانى فيعزها جهده قائلا انها السبب فى تفشى عادة الاستمناء الصناعى فاذا فرض ولاحظ الكبار ميل الصغار الى هذه العادة السيئة يجب عليهم تشديد

المراقبة على الطفل وعدم تركه مختليا بنفسه وقد تنشأ هذه العاده عن الوارثة ويمكن فى هذه الحالة فقط العمل على الاقلال منها إذ لا يمكن منعها منعا باتا . لانه لو ترك حبل الطفل على غاربه فانه يعرض صحته للتلف كنتيجة لانهما كه فيها . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان العدوى تتسرب منه الى غيره من الاطفال الذين يخالطهم وذلك بتعليمه لهم اياها . ويجب ان تبدأ المراقبة والطفل فى سن الثامنة او الاحسن وهو فى سن السادسة .

وللانثى خجل طبيعي يمنعها عن اظهار رغبتها في اللذه مهما اشتد ميلها الى القيام بعملية التلبية . وهذا الخجل لاتكاف فيه . ويعزون ذلك الى ترددها في قبول او رفض القيام بعملية الانتاج على مثال الاب .فالطبيعة دائما تدفع المرأة لانتاج الانسب . هذا بعكس الذكر السلبي الغريزة الجنسية مثلا . فهو يجرى وراء اللذة لان رغبته فيها اكثر ولايقدر للانتاج اية قيمة لانه معدوم لديه . فاذا ماوجد اى عرض عليه يقتبله . ومن المشاهد ان الصلة الجنسية بين فردين مختلفين لاتتم بسرعة بل تحتاج الى وقت فالرجل لابد له من ان يمر على ادوار تبدأ بالمطاردة فالمس فالتعبير الآلى وتنتهى بالالقاح ؛ في حين ان المرأه تبدأ دورها بالاستدراج فالتمتع فالذبذبه واخيرا الاستسلام . اما الرجل السلبي فلانه يجرى وراء اللذة فما أسرع تلبيته لما يعرض عليه خصوصا وان الحياء الذى يعترض طريقه فى المبدأ ليس الاحياء اخلاقيا اذا وطأه مرة اندثر شبحه من امامه بعد ذلك

وما عليك الا ملاحظة العلاقات الجنسية الشاذة في اوساط البحرية والحربية والمدارس الداخلية لتجد ان الانهماك فى هذه العاده السيئة ليس المقصود منه قضاء حاجة ضرورية كما يحدث بين فردين مختلفى الجنس بل تجدها تحدث لسبب اوغير سبب مظهره التهيج . ومن اهم الاسباب الدافعة الى التفنن في هذا الامر مسألة الحجاب. فما دامت المرأة محجبة يتجه التفات من به ميل الى الجمال او من تحكمت فيه اللذة الى احد افراد جنسه وسرعان ما يقع المحظور لسهولة الاختلاء واللمس

اما الميل الجنسى السلبي فى الرجل فهو (كالايجابى في النساء) امر شاذ فالتكوين الجنسى قد يكون تاما فى الاعضاء كلها ولكنه يكون ناقصا في الميل الى

التلبية أوالرغبة ومعنى ذلك انك تجد امرأة صالحة للحمل تمام الصلاحية ومعذلك تجدها اميل الى القيام بالوجه الايجابى (بدلا من السلبى) من عملية التلقيح . والسبب هو تغلب هذه الخصلة فيها ورثته عن اسلافها . كذلك تجد من الرجال من يصلحون للتلقيح تمام الصلاحيه ولكنهم يتخذون وضعا سلبيا (بدلا من ايجابى) وذلك لنفس السبب السالف الذكر

ويقول الدكتور الالمانى ان فضاء البطن فى رجل قد يشبه مثيله عند المرأة والعكس، وذلك نتيجة للتغلب الوراثى . اعنى ان الظواهر التى تفرق الذكر من الانثى قد تختلط زيادة ونقصا بين هذا وهذه . وان من المشاهد أن اغلبية الرجال المخنثين ـ الذين يمثلون دور المرأة ـ فى امكانهم الامتناع عن متابعة القبول دون ادنى اهتمام . واما الاقلية فمن العبث ايقافهم عند حدهم . لان الاول يجيبون طلب غيرهم اما لنوال مايصبون اليه من المال او كنتيجه لظروف مخصوصة اذا لم يعودوا في حاجة اليها لايستسلمون . واما الاقلية فاستعدادها يدفعها الى الجرى وراء هذا الموضوع حتى دون أن يتعرضوا للتجربة فان عقولهم دائماً تكون مستعدة للتلبية فيتخيلون لذة الاجتماع التى لم يختبروها بالمرة وهذا بالضبط مايحدث للمرأة

ان الانغماس في اللذة الجنسية سواء كانت شاذة أوغيرشاذة يؤدى الى الاستهتار فالاندثار كما كان الحال فى دولتى الرومان واليونان .وكذلك تشجيع الصغار على الاجتماع الجنسى يؤدى إلى هدم بنيانهم و إلى انهدام صروح اخلاقهم

كذلك يجب معرفة ان مصاحبة الولد للبنت تحت المراقبة تفيد كثيراً في تحويل الغريزة إلى وجهها العاطفى أى بمعنى آخر لاجل الرغبة في التلذذ يزيد الشخص امد المطاردة اوالاستدراج . وفى هذه الفترة يحاول كل من الطرفين التخلق بالاخلاق المستحبة من الطرف الآخر وفائدة ذلك لاشك جزيلة . ولكن هناك فائدة أخرى هى اختلاف وجهة نظر كل من الجنسين عن الجنس الآخر . فيكون للالفة وللاستلطاف وللميل إلى الجمال مجال يقل جنبه الميل الى الشهوة الحيوانية التى تكون عارضة تماماً

فيجب والحالة هذه تفهيم الطفل قبل أن يندفع لتلبية نداء الطبيعة متى بلغ السن الصالح للقاح أن المرأة مخلوق محترم مستحق للاجلال والاحترام . وان الزواج معناه الصداقة والتعاون . فاذا لم نفهمه ذلك لن يرى في المرأة إلا اداة للذة ووعاء للقاذورات . وبذلك يتقهقر البشر إلى مستوى الحيوانية مع فارق هو تفنن الناس في الاستزادة من اللذة بطرق لاتصل إلى اتباعها عقول السائمة

اذا نشأ الطفل في وسط تكتسب فيه المرأة بضرب العصا لاتنتظر منه أن يرى من اللذائذ الجنسية الا وجها واحداً هو أحطها

عمر عنايت



ما هو الالحاد

ملاحظات على رد

قرأت الرد الذى تفضل به ابراهيم افندى حداد على ما كتبه بندلى أفندى البيلونى وكنت أود أن انتظر حتى أرى ما يقوله صاحب الموضوع ولكنه لسوء الحظ يبعد عنا مسيرة أسابيع طويلة لذلك أريد أن استفسر بعض أشياء من حضرة حداد افندى

(١) ما معنى « الالحاد » ؟ أليس هو عدم التسليم بصحة شيء ؟ فاذا كان هذا هو المعنى فكيف يكون الالحاد قصد بل كيف يكون الالحاد مبدأ فى حين أنه لا يخرج أبداً عن أن يكون اعتراضا على صحة شيء يقال ؟ هذا هو رأيى فى الالحاد . وبالطبع لا يكون لهذا الالحاد سنن ونواميس فهو بعيد كل البعد عن أن يكون معتقداً . ربما صح لنا القول بان الالحاد (معرفة) الى درجة ما لان عدم التسليم بصحة فكرة اعتمادا على ما اثبتته التجارب ، فيه شيء من المعرفة . وليس معنى أن دارون أثبت هذه النظرية أو تلك . أو أن فلانا سفه تلك الفكرة أو هذه وجود « اعتقاد له سنن ونواميس مثل ما لغيره من الاعتقادات » فالالحاد خرج بذلك عن كونه (نظام) وبالطبع لا يجب أن نسأل بعد ذلك عما اذا كانت فضائله تتعادل أو تنقص عن فضائل النظريات الاخلاقية الاخرى . من هذا يظهر أن لحداد أفندى فكرة أخرى عن الالحاد لم يتفضل بعرضها بعد

(٢) يقول حداد أفندى « الاعتقاد شيء والمعرفة شيء أخر » فهل هذان الشيئان متعارضان أم هما حقيقتان متممتان لبعضهما ؟ فاذا كان هناك تعارض ادن لا بد من درسه لاتباع الحقيقة انى كانت . أما اذا كانا . متممين لبعضهما فلم هذا التناقض الموجود فيهما والذى يشعر بوجوده كل انسان

(٣) لماذا يريد حداد أفندى من حركة الالحاد وأن تشفى غليل الناس ! فلنفرض مثلاأن رجلا ادعى بانه رأى تيسا يسير على قرنيه ولنقول أن من يعيشون مع هذا الرجل كانوا بسطاء لدرجة صدقوا معها هذا الادعاء . فاذا قام من بين

قوم رجل الحد قد وأظهر عدم امكان حدوثه فهل من المنطق في شيء ان نسكته قائلين انك بهدمك لهذه الخرافة لا تبقي شيئاً يتسامر به الناس ؟ وبالله ما الذي يكون قد أتى به هذا الرجل لو قال ـ كي يشفي غليل الناس بل أنا قد رأيت تيساً يسير على ذنبه وأذنيه وكل ذلك حتى يشفي غليل الناس ـ ويرد الطمأنينة الى قلوبهم ويريح أدمغتهم من التفكير

(٤) وكيف ينتظر حداد أفندي من الالحاد ـ وهو سلبي انتقادي وليس بمعاهدة ولا محكمه ولا مؤثر بسيكاوجي ـ أن يبطل الحروب ويذهب بالشرور ويبدل حال الانسان من تشاؤم الى تفاؤل . ان معنى الالحاد ينحصر في أن شخصا من الناس لا يسلم بصحة رأي على أساس كذا وكذا (فقط لا أكثر) وان شخصا آخر أثبت أن تلك النظرية لا أثر لها من الحقيقة وان رجلا ثالثا اكتشف أن هذا الامر هو كذا بعكس ما كان يدعيه الناس فكل من اقتنع بصحة هذه البراهين أصبح ملحدا والعياذ بالله

ط . ه . حنين

الغصن الذابل

أو

الصوت الخفى

ياساهر الليل يوارى الدجى ... ويلحظُ النجمَ بعين الملول
هل فى ضياء الفجر من سلوة ... للعاشق المحزون أو للعليل ؟

* * *

— ١ —

نامت عيون الناس لما خلت ... قلوبهم مما يثير الأسى
ولاصقت جنوبهم فرشها ... لما رأته ناعما أملسا
لايعرفون الليل كم ساعة ؟ ... الا قليلا منه عند المسا
عيونهم تنمو بحقل الدجى ... نوما ، وعيناىَ نمت نرجسا

* * *

ياساهر الليل يوارى الدجى ... ويلحظ النجم بعين الملول
هل فى ضياء الفجر من سلوة ... للعاشق المحزون أو للعليل ؟

* * *

— ٢ —

يهتاج نفسى كلما أوشكت ... أن يهدأ الهم بها — غيره
أشكو ولكن لا أرى أننى ... إلا كميت ضمه قبره
غرست عوداً فى ربيع الصبا ... يالهف نفسى لم يفح عطرهُ

حتى طواه الهم رأد المنى ... فكفنته ... لم يحل عمره (١) ...

***

ياساهر الليل يوارى الدجى ... ويلحظ النجم بعين الملول
هل فى ضياء الفجر من سلوة ... للعاشق المحزون أو للعليل ؟

***

— ٣ —

وجئت يوما ساقياً تربه ... بما تفيض العين، صافى الدموع
واذ بصوت من صميم الثرى ... يصرخ فى الليل صراخ الوجيع
يهتف بى فى حسرة قائلا ... «هذا خريف العيش يطوى الربيع
الدهر ميْتٌ فى فراش الدجى ... والفجر أكفانٌ لهذا الصريع»

***

« انظر الى الاحياء فى نومهم ... يرجون جعل النوم أيضا حياه
يبنون من أحلامهم جنة ... يجرى لديها الخلدُ جرى المياه
ومنجل الحاصد قد صيغ من ... ذهب فيغريهم بريق سناه
يلهيهم الاخضر من زرعهم ... عن حاصد تعبث سراً يداه »

***

« دموعك اللاتى أُسيلت على ... وجه الثرى، جفت كقطر الندى
كذلك الانفاس، رددتها ... فى ظلمة الليل، فراحت سدى
الارض عطشى لدموع الأسى ... والجو بئر لا يرد الصدى
للكون قانون عليه مشت ... بالامس دنيانا، وتمشى غدا

(١) الضمير فى كفنته عائد للمعنى — يحل : أى لم يبلغ حولا من عمره

الكون باق سرمدى البقا   اما سوى الكون ففانى المدى

* * *

الغصن إن يذوى يعد للثرى   كالجسم يرتد الى أصله
فنم وخل حاصدات القضا   تحصد زرع الناس من حقله »

* * *

— ٤ —

وغاب هذا الصوتُ فى نفسه   فلم أعد أسمع غير النواح
هذا من القبر، وذا صادر   من جانب الفجر فأين الصباح ؟

* * *

— ٥ —

ياساهر الليل يوارى الدجى   ويلحظ النجم بعين الملول
لا يترك الليل سوى ظلمة   لا يسفر الفجر سوى عن طلول . . .

حسن كامل الصيرفى

صفحة من ديوان البراعم

الله !!

في صفاء الضحى عبدت جمالك ونسيم الصبا شممت خصالك
في غناء الطيور فوق الافانين آلهي ! . انى سمعت مقالك
في هزيم الرعود بين ثنايا الجو في البرق قد رأيت جلالك
وبلطف الزهر المندى وميل الغصن غنجاً انى إجتليت دلالك
ليس زهر النجوم إلا مصابيح تبث الانوار منها حيالك
ليس دق القلوب إلا ترانيم نفوس مسبحات كمالك
أى شيء لم يقتبس منك نوراً؟ أى مال يارب لم يك مالك ؟
انما «رافائيل[1]» لم يمسك الريشة إلا لكى يخط مثالك
لاولا «ميشيلانج[2]» لم يضرب الا ازميل إلا لكى نرى تمثالك
لك شوقى وحبى، نصيبى وعزى لك نفسى فاصنع بها ما بدالك !
أنت يا رب ترى ما قد تجلى وتستر
ليس ينأى عنك أمر ليس يخفى عنك منظر

---

(١) رافائيل سانزيو Raphaiel Sanzio صاحب التصاوير الناطقة التى ما زالت تثير مشاعر البشرية فتقف أمامها أسيرة الاعجاب والتقدير وهو من فنانى المدرسة الرومانية ولد فى اربينوا عام ١٤٨٣ وما كاد يبلغ أشده حتى ذاع صيته وسما فنه الى أوج العظمة الخالدة ورغم أنه توفى فى العام السابع والثلاثين من عمره فان عبقريته النادرة أفاضت على النهضة الاوروبية فيضا قدسيا وأنت تشاهد أهم اثاره فى الفاتيكان تزدان بها قاعاته الواسعات

(٢) ميشيلانج Michel-anglo (١٤٧٥ — ١٥٦٤) من أشهر فنانى ايطاليا ولد فى كابريز من أعمال تسقانيا وتألق نجمه فى سماء الفن الجميل مما جعل الكثيرين يجمعون على انه أنبغ من انجبتهم ايطاليا الجميلة وقد كان له باع طويل فى النحت تشهد على ذلك روائع آثاره العديدة وفى مقدمتها تمثال « موسي » الذى تكاد تدب فيه الروح

انني أبصر في هذي البرايا الف مظهر
عجوزاً يمشي بذل وأميراً يتبختر
أعيناً مستبشرات وقلوبا تتفطر
وقويا يشحذ السكين ظلما وهو يعذر
وضعيفا نحروه مثلما النعجة تنحر!
قوة الفرد هي العليا وحق الالف يغدر
ان هذا بعض ما يلمس في الناس وينظر
والذي نجهله نحن لدى الله مسطر!

نصبوا للانام شتى المصائد موردين الضعاف شر الموارد
كم جحود وغد ؤ لئيم، مراء قد تردى رداء افضل زاهد
رب رحماك! أنزل السخط ناراً وأبد زمرة تعيث المفاسد
إنهم يبسمون! لكنما القلب مشوب على العدالة حاقد
ولقد زينوا القبيح بلون يبهر العين فاستدروا الفوائد
خدعوا الساذجين ياما أعم المكر فيهم وما أقل المحامد
ومن المعوزين قد جمعوا المال وراحوا به لمد الموائد
يذكرون الاله في كل آن ويمدون للسماء السواعد
يهتفون البدار للدين! والدين براء منهم ومن كل جاحد

أهدني يارب اني لا أراني مستقراً
ما الذي أعمل؟ قل لي هل أجازي الشر شراً؟
أم يظل القلب مني حاملا بؤساً وضراً
هل أراعي الظلم؟ أم هل أنفث الاشعار جمراً

هوذا الغرب يبيد الـ حق فى المشرق قهراً
وبنو الشرق ينامون على الاذلال صبرا
يحسبون الصدف اللماع فوق الرمل دراً
رب الهمنى ! فان الروح لا تنفك حيرى
« أيها الانسان ناضل فى سبيل الحق جهراً »
« ولتعش حراً عزيزاً إن فى العزة فخراً »

***

انه صوت إلهى فى فضاء الروح رنا
انه النصح . . وما أغزره للعقل معنى ؛

بغداد : أنور شاؤل


رفائيل


ميكل أنجيلو

وثائق للتاريخ

حل مجلس النواب والشيوخ ـ تعطيل الحياة البرلمانية ثلاث سنين ـ امكان تعطيلها لمدة أخرى بعد انتهاء امد التعطيل الأول ـ اعادة حق الادارة فى انذار الصحف ووقفها والغائها .

١ — اصدرت الوقائع الرسمية بعد ظهر يوم ١٩ يوليه الماضى عدداً (غير اعتيادى) نشرت فيه أمراً ملكياً بحل مجلس النواب والشيوخ وتأجيل الحياة البرلمانية ثلاث سنين ومع الأمر مذكرة مرفوعه لجلالة الملك من هيئة الوزارة مجتمعة ، او كما يقولون باجماع الآراء . وقد بلغ ذلك الامر وكيل الداخلية على باشا جمال الدين إلى رئيس مجلس النواب .

٢ — لم يقتصر الأمر على هذا بل أن الأمر قد تضمن تعطيل بعض نصوص الدستور التى هي من الوقع اكبر مظهر من مظاهر الحرية التى تتمتع بها الامم الحرة . واليك نصوص المواد التى عطلها الأمر الملكى

المادة — ١٥ — فقرة ثانية — وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الادارى محظور كذلك . الا اذا كان ذلك ضرورياً لوقاية النظام الاجتماعى

المادة ٤٨ — الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه

المادة ٨٩ — الامر الصادر بحل مجلس النواب يجب أن يشمل على دعوة المندوبين لاجراء انتخابات جديدة في ميعاد لايتجاوز شهرين. وعلى تحديد ميعاد لاجتماع المجلس الجديد فى العشرة الايام التالية لتمام الانتخابات

المادة ١٥٥ — لايجوز لاية حال تعطيل حكم من أحكام هذا الدستور ، الا أن يكون ذلك وقتيا فى زمن الحرب او اثناء قيام الاحكام العرفية وعلى الوجه المبين فى القانون

وعلى أى حال لايجوز تعطيل انعقاد البرلمان متي توفرت الشروط المقررة بهذا الدستور

المادة ١٥٧ — لاجل تنقيح الدستور يصدر كل من المجلسين بالاغلبية المطلقة لاعضائه جميعا قرارا بضرورة و بتحديد موضوعه . فاذا صدق الملك على هذا القرار يصدر المجلسان بالاتفاق مع الملك قرارهما بشأن المسائل التى هى محل التنقيح ولا تصح المناقشة فى كل من المجلسين الا اذا حضر ثلثا اعضائه ويشترط لصحة القرارات أن تصدر باغلبية ثلثى الاراء

٢ — أمر ملكى رقم ٤٦ لسنة ١٩٢٨

بحل مجلسى النواب والشيوخ وايقاف تطبيق بعض مواد الدستور

نحن فؤاد الاول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية وعلى كتاب الوزارة المرفوع الينا بتاريخ ١٨ يوليه سنة ١٩٢٨ ،

أمرنا بما هو آت :

مادة ١ — يحل مجلسا النواب والشيوخ . و يوقف تطبيق المادتين ٨٩ و١٥٥ من الدستور .

و بناء على ذلك يؤجل انتخاب أعضاء المجلسين وتعيين الاعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ مدة ثلاث سنين من تاريخ أمرنا هذا . وعند انقضاء هذا الاجل يعاد النظر فى الحالة لتقرير اجراء الانتخاب والتعيين المذكورين أو تأجيلهما زمنا آخر

أما السلطة التشريعية فى فترة السنين الثلاث المذكورة أوفى أى فترة اخرى تؤجل اليها الانتخابات فسنتولاها طبقا لحكم المادة ٤٨ من الدستور وذلك بمراسيم تكون لها قوة القانون .

مادة ٢ — حتى يصدر أمر آخر يوقف تطبيق المادة ١٥٧ والجزء الاخير من المادة ١٥ من الدستور .

مادة ٣ — على وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا كل فيما يخصه

صدر بسراى رأس التين فى ٢ صفر سنة ١٣٤٧ (١٩ يوليه سنة ١٩٢٨)

(فؤاد)

بامر حضرة صاحب الجلالة

وزير الداخلية	رئيس مجلس الوزراء	
محمد محمود	محمد محمود	
وزير المواصلات	وزير الاوقاف	وزير الحربية والبحرية
عبد الحميد سليمان	جعفر ولى	جعفر ولى
وزير المالية	وزير الزراعة (بالنيابة)	وزير الحقانية
على ماهر	ابراهيم فهمى	أحمد محمد خشبه
وزير المعارف العمومية	وزير الخارجية (بالنيابة)	وزير الاشغال العمومية
احمد لطفى السيد	على ماهر	ابراهيم فهمى

٣ — المذكرة الوزارية

مولاى

تفضلتم جلالتكم فاخذتم في سنة ١٩٢٦ بيد الائتلاف واعتمدتموه منهجا ملائما لحاجة البلاد يجنبها مضار التحزب والانقسام ويرضي أطماعها في حكومة ثابتة وطيدة .

وقد كان من الواجب لنجاح ذلك النظام أن تتعاون العناصر المؤلفة له تعاونا قلبيا ، وأن تصرف جهدها الى تحقيق وجوه الاصلاح المختلفة وأن تجرى الاعمال فى جهات الحكومه جميعا على سنن العدل والمساواة .

ولم يشك أحد حين قام الائتلاف في أن الداخلين فيه طابت به نفوسهم وخلصت له نياتهم . واذ كان المصريون فى الواقع متفقين فى المقاصد والوسائل ولم يكن بينهم خلاف يرتكز على تشعب الآراء أو تباعد ما بين وجهات النظر ، فقد كان المقدر أن الانقسام الذى كان شخصيا في أصله ونشأته صائر حتما إلى الزوال فيعود المصريون كما بدءوا متحدين .

على أن فئة قليلة هيأت لها المصادفة المحضة فى هذا العهد الاخير مكان

الزعامة من حزب الاكثرية مازالت ، فى حرصها على الاستئثار بالامر ، تنقض أسباب التعاون وتسترسل فى حزبية شديدة الخطر على المصالح العامة ، مدعية أن الانقسام جاء من انفرادها بالتمسك بحقوق البلاد جاهدة في نشر ذلك الوهم عاملة على توسيع نطاق الانقسام واستدامة أسبابه .

ومما يؤسف له أشد الاسف أن آثار الانقسام نقلت إلى دوائر الحكومة وكان لها شأن غير ضئيل في أعمال الموظفين وأحوالهم . ولا يخفى مايترتب على ذلك من افساد نظام الاعمال وتعريض مصالح الجمهور للعسف والعبث ومن نشر القلق والاضطراب بين الموظفين .

كذلك انتقلت هذه الآثار الى أفراد الامة فاضطربت بها العلاقات والروابط بينهم بل انقلبوا بعضهم حربا على البعض وتزعزعت أسباب التراحم والتضامن فى الاسر .

ثم انتهى الامر الى أن أصبحت الحياة النيابية نفسها أداة لطغيان تلك الفئة واستبدادها مستعينة بأكثرية اضطرت الى ممالأتها أو مداراتها بين رجل مخدوع فيها وآخر يخشى شرها وثالث يطمع في خيرها . ولذلك عجزت تلك الحياة النيابية عن تحقيق أخص ما يرجى فيها من انفاذ الاصلاحات المختلفة فى المرافق العامة للبلاد .

تلقاء هذه الحالة أبت حكم جلالتكم الا أن تعالج الامر بالوسائل الحاسمة انقاذا للبلاد مما يتهددها من خصومة دائمة ونظام حكم عاجز مضطرب ، فأقلتم الوزارة السابقة وعهدتم بالحكم الى هذه الوزارة .

ولقد أطالت الوزارة النظر فى الشؤون الحاضرة تلتمس وجوه العلاج لها فلم تجد لذلك سبيلا الا أن تعمل على تخليص البلاد من تلك المؤثرات المصطنعة كيما تعود الاحوال الى سيرتها الطبيعية ولن تعود الاحوال الى تلك السيرة الا اذا علم الناس حقائق الامور وانكشفت لهم أسباب التغرير واستبانوا كيف كان الانقسام مصطنعا لمصلحة تلك الفئة القليلة وكم جر على البلاد من مضار وشدائد . كذلك لن تصل الامور الى قرار الا اذا خلص الافراد مما

كان يرمقهم من ضروب الاعتداء والتشهير الباطل ، فامنوا أن يبدوا أراءهم فى غير حرج ، والا اذا اعتقد الجميع أن المرافق العامة ومصالح الدولة يجرى الامر فيها بالحق والعدل :

ولكن المؤثرات المصطنعة التى أفضت بالبلاد الى الحالة التى تئن منها لا يمكن أن تنقطع أسبابها فى الوقت القصير . على أن الوزارة ترجو أن تكون ثلاث سنين كافية فى هذا السبيل

كذلك لا تنقطع أسبابها مع بقاء العوامل التى سهلت قيامها وكفلت لها القوة والانتشار .

ولما كان البرلمان فى حالته الحاضرة لا يعين على الوصول الى الحالة التى تتفوق اليها البلاد وجب ألا يكون من ناحية أخرى عقبة فى سبيل الاخذ بالاسباب الموصلة لها .

لذلك لا ترى الوزارة بدامن حل المجلسين وتأجيل الانتخابات الى الوقت الذى يرجى فيه أن تتجلى ارادة الامة على وجهها الصحيح .

كذلك ترى الوزارة أن ينظر فى قانون الانتخاب وما يتصل به من أحكام الدستور لتعديل ما قد يكون فى تعديله اصلاح الحالة التى سبق وصفها . على أن النظام النيابى والمسؤولية الوزارية لن يمسهما التعديل بحال من الاحوال

وما كانت الوزارة لتقدم على حل المجلسين وتأجيل الانتخابات طواعية واختياراً ولكن يلجئها الى ذلك الجاء ضرورة الخلاص من الحالة الحاضرة ، والحاجة الى نظام ثابت مرضى ، يعيد للبلاد وحدتها وتهيىء لها سبيل معالجة قضية استقلالها على وجه يحقق كامل أمانيها . والوزارة شديدة الايمان بأنها تصدر فى ذلك عن حاجات الامة الحقيقية واجماع أهل الرأى فيها

وقد اعتزمت الوزارة أن تأخذ نفسها فى ادارة الشؤون العامة فى فترة تعطيل الحياة النيابية ، باجراء العدل ، وبتحقيق المساواة في غير تحيز أوحزبية، وبتأييد الحريات فى حدود القوانين ، وبتنفيذ الاصلاح فى المرافق العامة ،

الذى طال على البلاد أمد انتظاره ، وترجوا أن توفق الى ما قصدت له فى ظل عطف جلالتكم و بفضل تأييد الأمة

فاذا حازت الاعتبارات المتقدمة قبولا من جلالتكم ، تفضلتم باصدار أمركم الكريم بحل مجلس النواب والشيوخ وايقاف المواد ٨٩ و ١٥٥ و١٥٧ والجزء الاخير من المادة ١٥ من الدستور

وان الوزارة ، وهى ترفع الى سدتكم العلية آيات اخلاصها لتبتهل الى الله بالدعاء بان يحفظ للبلاد ذات جلالتكم الكريمة مؤيدة بتوفيق الله

١٨ يوليه سنة ١٩٢٨

أحمد محمد خشبة	عبد الحميد سليمان	جعفر ولى	محمد محمود
أحمد لطفى السيد	ابراهيم فهمى	على ماهر	

مستقبل الشمس

عن سير « جينز » سكرتير الجمعية الملكية البريطانية

***

هل النظام الشمسى سائر الى الانحلال ؟ — كيف يضمحل جرم الشمس — المستقبل البعيد والقريب — تناقص قوة الجذب بتناقص جرم الشمس — اتساع فلك الارض والسيارات — الجبابرة والاقزام — تغيُّر جرم الشمس — مستقبل الحياة الانسانية

***

— ١ —

فى سنة ١٦٠٤ بدأت إحدى نجيمات كوكبة الحواء Constellation serpentarius تشع بمقدار مضاعف لقوة أشعتها الاصلى عدة مرات. أما النيازك المتنقلة وذوات الاذناب فأشياء عرفها الانسان منذ أقدم أزمان التاريخ. على أن هذه « الاشباح » كما أظهر « غاليليو » بعيدة عن عالمنا الارضي جهد البعد ، بل هى تابعة لعالم النجوم الثوابت ، وذلك العالم الذى اعتبر حتى عهد قريب ثابت لايتغير ، جامد لايتبدل ، وأن كل شيء فيه خالد خلود السرمد والأبد . وعلى هـذا نجد أن « غاليليو » قد أثبت ، في أوائل القرن السابع عشر ، ان كل شىء فى العالم ينتابه التغيير ويطرأ عليه التبديل ، حتى عالم النجوم الثوابت .

أما المعتقد الثابت القائم فى رءوس العلماء اليوم فينحصر فى القول بأن « التغاير » سنة تجرى على الاجرام السماوية ، بل على كل مايتضمن الكون من صور الوجود . والشمس ، التى هى مركز نظامنا الكونى ، تظهر يوماً بعـد يوم كأنها كما كانت في اليوم الذى فرط ، وهي تظهر كذلك منذ أبعد أزمان التاريخ

الانسانى ، الذى يعتبر اذا قيس بعمر الكون كسنة من النوم أو برهة وجيزة من مقاس الزمان كما يدركه العقل الانسانى ، فيراها الجيل بعد الجيل وكأنها هى بذاتها لم ينقص جوهر واحد من جواهرها ولم تفقد شيئاً من قوة أشعاعها . وما السبب فى هذا الا أن الشمس وهى سائرة فى سبيل التغير ، انما تتغير ببطء كبير فهى تحيا حياتها وتقطع سياحتها من يوم مولدها الى يوم مصرعها ككل الموجودات الكونية ، كالانسان والحيوان والنبات . تجرى عليها سنة الوجود ، وتخضع لقوانين البدء والانتهاء . أما البرهان الساطع على هذا القول ، فتلك الكميات الكبيرة من الضوء والحرارة التى ترسلها كل يوم الى ما يجاورها من الاجرام ، والتى تقذف بها في مايحيط بها من فضاء لايتناهى ، ولا يبلغ الى حدوده الوهم .

إن الحرارة والضوء يحملان ثقلا معيناً . ثقلا حقيقياً نتكلم فيه كما نتكلم فى طن من الفحم أو قنطار من الحديد . فاذا قلنا مثلا طناً من الحرارة أو طناً من الضوء ، انطبق كلامنا على الحقائق العلمية ولم نعد الصواب قيد أصبع . وليس معنى هذا أننا نحصل على طن من الحرارة أو طن من الضوء اذا نحن أحرقنا طناً من الفحم ، كلا . فاننا اذا أحرقنا طناً من الفحم فانما نحصل على جزء من مليون جزء من الرطل ضوء أو حرارة ، والباقى يكون رماداً ورجوعاً — وهو بقايا الفحم بعد انطفاء جذوته — أو مواد تختلط بأوكسيجين الفضاء . فاذا وقع الضوء على سطح ما فأناره ، فانه يحدث في ذلك السطح « صدمة » Impact كما يقولون فى الميكانيكيات — هى نتيجة لثقله . فاذا وجه الى الانسان كمية من الضوء كافية الثقل . فانها تصرعه ، كما تصرعه كرة المدفع تماماً . وهذه « الصدمة » التى يحدثها الضوء لدى وقوعه على سطح ما ، تمكننا من قياس ثقله ، كما نستطيع تماما أن نقيس ثقل كرة يقذفها مدفع ، من مقدار « الصدمة » التى يحدثها فى هدف توجه اليه . ولا جرم أننا نضطر فى هذه الحال أن نعرف مقدار سرعة كرة

المدفع تماماً . أما سرعة انتشار الضوء فمعروفة على وجه الدقة والضبط ، وهى ١٦٨٠٠٠ ميل فى الثانية .

— ٢ —

كل بوصة مربعة من سطح الشمس ترسل ضوء وحرارة يحدد مقدارها بضوء كشاف قوته خمسون حصاناً ، وهذه الكمية من الضوء والحرارة تحمل من جرم الشمس ثقلا مقداره أوقية — من كل بوصة مربعه — فى مدى الفين من السنين. وقد يلوح لنا أن هذا المقدار ضئيل ، ولكن اذا ضربناه في مجموع سطح جرم الشمس مقيساً بالبوصات المربعة ، وجدنا أن الثقل الذى تفقده الشمس مرسلا فى صورة « اشعاع » هو بمعدل ٤٠٠٠٠٠٠ طن في كل ثانية ، أو بالتقريب ١٥٠ ضعفاً لمقدار الثقل الذى ترسله شلالات نياغرا فى صورة ماء .

غير أن شلالات نياغرا تغذى دائماً بماء جديد يهبط على الارض مطراً. في حين أن الشمس لاتزود بثقل جديد من المادة . فلهذا وجب علينا أن نعتقد أن ثقل الشمس آخذ في التضاؤل . فهى اليوم أضأل من الامس بمقدار ٣٦٠٠٠٠ مليون طن ، وهى في الغداة أضأل منها اليوم بمقدار ٣٦٠٠٠٠ مليون طناً أخرى . وفى هذه الحقيقة دون غيرها نقع على السبب الذى نعلل به امعان الكواكب فى التغير والانحلال على التتابع . فانها « تبدل » مادتها وترسلها فى صورة اشعاع تقذف به مايحيط بها من جوانب الفضاء . وكذلك شمسنا ، فانها تهدم كيانها وتفنى جرمها ، لترسله شعاعاً ، هو أحوج ماتحتاج اليه حياة وليداتها اللاتى يكون ما نسميه بالنظام الشمسى .

— ٣ —

لاخفاء أن نظاماً كهذا لايمكن أن يستمر كما هو الآن الى الابد . ولكن فى الشمس من الجرم المادى مايكفى لان يجعلها ترسل ضوءاً وحرارة بنسبة ماترسل الآن ... ر ... ر ١٥ سنة أخرى. غير أن هذا لايمكن أن يقع بحذافيره.

فعلى الرغم من أن الطبيعة لاتترك وراءها كميات كبيرة من الرماد والرجوع ، فان الشمس لن تحرق نفسها بنفسها إلى آخر طن من ثقلها المادى ، وهي كذلك لاتستطيع أن تحتفظ دائماً بنسبة ماترسل اليوم من اشعاع فى نواحى الفضاء .فان كل سنة تمر من عمر الشمس ينقص معها جرمها الاصلى ، وبذلك تقل قدرتها على الاشعاع . وليس يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أن تناقض جرم الشمس تتناقض معه قوتها الجاذبة على السيارات التى تدور من حولها ، وبذلك يتزايد اتساع افلاكها على التتابع . فان الأرض مثلا تبتعد عن الشمس ، من طريق اتساع فلكها ، بمعدل ياردة واحدة في كل قرن من الزمان . وعلى هذا يترتب أن تكون كل سنة من السنين اطول قليلا من حيث الزمان ، وأبرد قليلا من حيث الطقس ، من السنة التى سبقتها .

على أن هذه التغايرات ضئيلة جداً ، حتى أن الحوادث استمرت متابعة للنسبة التى تقع بها الآن ، فان التغايرات التى تتجمع خلال ... ر ... ر ١ من السنين فى مستقبل الزمان ، لايمكن أن تحدث فرقاً كبيراً عن حالات العصر الحاضر . فبعد مليون من السنين لاينفد من كل رطل من اجرام الشمس بالاشعاع، حرارة وضوءاً ، الا أوقية واحدة من ستة عشرة أوقية (على حسب القاعدة المتبعة فى تقسيم الرطل الانجليزى) وتكون السنة أزيد ١٠ في المائة والمناخ أبرد بنسبة ٢٠ الى ٣٠ درجة منه الآن . ولكننا على كل حال نرى أن الحياة ممكن أن تبقى على وجه الارض مليوناً أخرى من السنين .

— ٤ —

هل في النظام الكونى جبابرة وأقزام ؟

ولكن هل يمكن أن يستمر وقوع الحوادث الكونية بذات النسبة التى تقع بها الآن ؟ فان الراجح أن الشمس قد ولدت منذ ... ر ... ر ٧ ٢ و ... ر ... ر ٨ سنة مضين ، في صورة كرة من الغاز انفصلت عن سديم لولبى. ولا خفية مطلقاً فى أن حجمها كان أكبر مماهو عدة مرات ، كما كان اشعاعها أقوى وحرارتها أشد أضعافاً . أما تاريخها منذ وجودها فكان عبارة عن تناقض

فى الحجم بصهر مادتها الاصلية ، وتضاؤل في العظمة ، تابع لتضاؤل في الجرم . والغالب أن تناقص جرم الشمس لم يستمر دائماً بنسبة واحدة ، وانه لم يكن متواصلا . بل كان متراوحاً بين درجات من السرعة والتباطىء . ذلك لان حجم الشموس الثوابت لا يؤيد الفكرة باستمرار تناقصها على نسبة واحدة مستمرة ، بل يرينا أنها تتبع فى ذلك نظاماً تلوح لنا فيه انها تتناقص فى احجامها بنسبة فجائية . فان في النظام الكونى جبابرة ، هي عبارة عن شموس عظيمة حتى ان عدة ملايين من الشموس فى حجم شمسنا هذه اذا اجتمعت يمكن أن تبتلعها في جزء من جوفها العميق. وكذلك في الكون « أقزام » توازى شمسنا من حيث الحجم. بل هنالك اقزام صغيرة نسميها « الاقزام البيضاء » تكاد تكون في حجم سيارنا الارضى قد ضغطت مادتها وتلاصقت حتى أن مائة طن من مادتها قد لا تملأ علبة واحدة من علب لفافات التبغ المعروفة

أما السبب الذى يحدث هذه الفروق الحجمية ، فارجح ، كماسبق واظهرت من قبل ، بأنه راجع آخر الامر إلى اختلاف احجام الجواهر الفردة في الاجرام المختلفة . ففى داخل « الاقزام البيضاء » تكون الحرارة على أشدها حتى أن الجواهر الفردة لا تستطيع أن تكون من حولها حلقات من الكهارب تحميها وتحفظها فكل جزء من المادة يكون محويا في أقل فراغ ممكن . اما في « الاقزام العادية » التى هى أقل حرارة من تلك ، كشمسنا هذه ، فان أكثر الجواهر الفردة يكون لها حلقة من الكهارب تحدث فراغاً من حول الجواهر وبذلك يزداد حجمها زيادة كبيرة ، فى حين أن الجواهر الفردة فى « الجبابرة » وهى أقل حرارة من الاقزام ، يحيط بكل منها حلقتان أو ثلاث حلقات من الكهارب تلازمها .

على اننا اذا تركنا هذه النظريات وأمثالها جانباً ، ولم نعمد إلى تعليل الظواهر المرئية ، لم نستطع إلا أن نسلم بتلك الحقيقة الثابتة ، وهى أن هنالك فارقا كبيراً في الحجم بين « الاقزام البيضاء » وغيرها من النجوم التى تشابه شمسنا هذه.

واذا تغيرت الشمس ، فماذا يحدث ؟

أن شمسنا الآن قريبة جهد القرب في أن تزل في تلك المهواة التى إذا تردت فيها اصبحت من « الاقزام البيضاء » . والجائز ان يحصل هذا في عصر قريب من العصور الفلكية . في حين أن « الاقزام البيضاء » قليلة الاشعاع جداً، حتى اننا لم نجد حتى الآن جرماً من هذه الاقزام يمكن أن يرسل من الاشعاع مايوازى جزء من ثلاثمائة جزء من الأشعاع الذى ترسله شمسنا . فاذا انقلبت الشمس «قزماً ابيض » ، اشتدت برودة الارض تبعاً لذلك حتى يتعذر أن يبقى فيها شيء من الاحياء . وهذا التغير الطبيعي ، وان ظهر من وجهة النظر الفلكي كأنه فجائي وقتي ، يحتاج إلى عدة ملايين من السنين ، حتى أن ... ر ١٠٠ من اجيال البشر الذين سوف يعمرون الارض منذ اليوم سوف لايشعرون باى تغيير مهما كان ضئيلا . ولهذا السبب لانستطيع أن نحكم حكما مقطوعاً بصحته فى ما اذا كان هذا التغير قد أخذت أسبابه في الوقوع بالفعل . غير أن « الزمان » الفلكى انما يتحرك ببطء شديد ، ولهذا لايمكننا أن نحكم إلا ترجيحاً فيما اذا كانت هذه الحادثة — اى انقلاب الشمس إلى قزم أبيض — تكاد تحل الآن ، ام انها سوف تقع بعد فى خلال المليون القادمة من السنين . فان شجرة فى حالة الانحلال قد تسقط على الارض فى أية برهة ، ولكن ليس لنا أن نقول بانها ستسقط خلال دقيقتين أو ثلاث دقائق من الزمان ، لان الشجرة قد تظل واقفة فى موضعها عدة آلاف من الدقائق بعد أن يصيبها الانحلال .

— ٦ —

وكيف يكون مستقبل الحياة الانسانية ؟

على الرغم من أن انقضاء الحياة فوق الارض قريبا لاتؤيده الاحتمالات حتى اليوم ، فان كل المرجحات العلمية تدل على أن الارض سوف تعضد الحياة مليوناً آخر من السنين . اما الحكم فى أن اعقابنا سوف يعمرون الارض من بعدنا ، فذلك أمر يتوقف عليهم كما يتوقف علينا . فالانسان قد يفنى نوعه فى حرب طاحنة يزين اليه بها جنونه وخرقه ، أو من الجائز أن تهمل الجماعات الانسانية التدرع بالعلم ، فينشأ في الطبيعة نوع آخر يتغلب عليه ويمحوه من الوجود

أما وحى « السماء » فيدل على أن الانسان سوف يظل سيد هـذه الارض مليوناً من السنين · اما بعد ذلك فسوف يخيم على الارض ظلام الموت ، فتمحى الحياة فى صفحتها .

اما المدنية الانسانية ، ومن ورائها عشرة آلاف من السنين هى ماضيها ، ومن أمامها مائة مليون ضعف من الماضى هو مستقبلها ، فانها ولا شك لا تزال فى غرارتها . اما الذين سيعيشون فى تلك الازمان المستقبلة ، فسوف يذكرون زماننا هذا فيقولون بانه « فجر المدنية » . سوف يقولون بان عصرنا هـذا هو عصر البطولة التى بدأ الانسان فيه يذلل قوى الطبيعة و يجوب أنحاء الارض الجرداء الموحشة ليكون « جماعاته الأولى » على أساس فيه بعض الثبات والنظام . إن على اكتافنا اليوم مسؤولية خطيرة . مسؤولية وضع القواعد الأولية والاسس التى سوف يقوم عليها بناء المدنية فى أبعد أيام المستقبل .

الراعيان والافعى

اسطورة عربية

اخوان يرعيان قطيعهما فى بطن واد خصيب . آلف الحب بين قلبيهما وربطت بينهما المصاحة برباط الصداقة فكانا شريكين ما عرف أحدهما عند الآخر من حق يطالبه به ، وكانا حبيبين ما أثرت مصالح الدنيا على حبهما ولا تدخلت المطامع فيما يمكن أن يكون مفسدة للحب أو مخبثة لمحكم الوثاق الاخوى

اعتاد أكبرهما أن يأوى فى الظهيرة الى مستظل بالقرب من جبل قائم على جانب الوادى الذى يرعيان فيه ، وكان اذا لجأ الى مستظله خرجت اليه من أصل الجبل أفعى من الافاعى الكبيرة فتلقى اليه بجوهرة ثمينة يأخذها غنيمة باردة ثم تعود الى وجرها من غير أن تفكر في أن تؤذيه أو يفكر هو فى ايذائها .

وظل الانسان والافعى على صداقتهما زمانا طال أم قصر . ما قصرت الافعى يوما في أن تقذف اليه بالجوهرة ، وما فكر هو يوما فى أن يطمع في أكثر مما تأتيه به . ولكن لماذا لا يقتل الافعى ويستنفد كنزها ويستأثر به جملة واحدة ، بدل أن يحصل عليه أقساطاً ونجوما ؟ ولماذا لا يلعب الطمع بعقله فيقتل الصديقة ليفوز بميراثها الكبير ؟

أكب على فأس يحد غرابها ؛ وأخذ يتربص بالافعى الفرص . حتى اذا كان ذات يوم وقد اشتد الحر واستلقى كبير الاخوين في مستظله وبجانبه أخيه وتحت ابطه فأسه الباترة خرجت الافعى لتلقى اليه بجوهرتها الثمينة ، وما كادت تفعل حتى بادرها بضربة فأس على رأسها آذتها ولكن لم تقتلها . وشدت الافعى على أخيه فقتلته لساعته ورجعت مسرعة الى وجرها .

وأخذه الندم على فعلته ، وتذكر ما كان من اخلاصها له ، وما كان من خيانته لها ، فاراد أن يصافيها ؛ على أن تزوده كل يوم بتلك الجوهرة التى كانت تلقيها

اليه . فقالت له الافعى . امامك قبر لاتصفو لى ابدا إذا مارأيته ، وفوق رأسى ضربة لا اصفولك ابدا اذا ما تذكرتها .

واصاغ النابغه الذبيانى هذه الاسطورة فى أبيات هى من اجزل ماتقع عليه فى الشعر العربى قال

كما لقيت ذات الصفا فى حليفها — وكانت تريه المال غبا وظاهرة
فلما رأى ان قد تكثر ماله — وأثل موجودا وسد مفاقره
اكب على فاس يحد غرابها — مذكرة من المعاول باتره
فلما وقاها الله ضربة فأسه — ولله عين ما تغمض ناظره
قال تعالى نجعل الله بيننا — على مالنا أو تنفدى لى آخره
قالت يمين الله افعل اننى — رأيتك سخريا يمينك فاجره
ابى لك قبر لايزال مقابلى — وضربة فاس فوق رأسى فاقره

جورج برنرد شو

ولد فى سنة ١٨٥٦ (١)

نشأ شو الروائى الاجتماعى فى ايرلندة ، ولذا اختص قضيتها بجزء غير قليل من فنه . وانك وأنت تقرأ حملاته الشعواء على الثقافة والمدنية البريطانيتين لا يسعك الا الاعتقاد بانه ينتقم لامته المستعبدة . هو مغرم بالدفاع عن الحرية وكتاباته عن القضية المصرية أشهر من أن تذكر . مذهبه الاشتراكية فترى دعوته اليها تكاد تكون مثبتة فى كل سطر يكتبه . ملحد ، كتب عن المسيحية مقدمة طويلة قد تسمح الظروف بتخليصها بتوسع . فهو بالاختصار يعتقد أن المسيح لم يكن غير اسطورة كملت ، وأما مادة العهد الجديد فلا تستحق الاهتمام الذى يثيره رجال الكهنوت عنها خصوصها وان زبدته مستقاة من كتب اليونان والصين . يستخف بالمسيحية لدرجة عظيمة وله معارضات لبعض الوصايا مثل « لا تعامل الناس بمثل ما تريد أن يعاملوك به فقد تكون مشاربهم مخالفة لمشربك » يناضل عن حرية المرأة بكل ما أوتى من قوة طالباً لها المساواة التامة بالرجل دون قيد ولا شرط . رأيه فى الاخلاق انها تتبع سنة التطور ، ولذلك يجب أن لا تظل على حالة واحدة

شو كاتب اجتماعى اكثر من كل شىء . يحمل حملات قاسية على الانظمة الاجتماعية السائدة وخصوصاً نظام الزواج وتكاد كتاباته تختص بالحملة عليه ، لذلك قد لخصت لك آراءه فيه مع ارائه الطريفة فى نظم التربية الحديثة

لا تشعر وأنت تقرؤه الا بجزالة الاسلوب وحلاوة النكتة واما آراؤه الرهيبة فتنساب خفية الى رأسك حتى اذا ما انتهيت من قراءته اصبحت عرضة للنضال الفكرى العنيف . وعبثا تحاول اقناع نفسك بانك لم تقرأ غير قصة كتبت لاجل التسلية ، فمنطقه يطلب دائما ايمانك ، وجدله يصرع اعتقادك

---

(١) فصل من كتاب الثورة الفكرية : رجالها فى العصور الحديثة ، تأليف عمر عنايت تحت الطبع

اراؤه فى الزواج

ما هو الزواج : اذا اخرجنا الزواج عن كونه نظاما طبيعيا مثل نظام الجاذبية تعين علينا ان نسأل الذين يقولون ان للزواج معنى مفهوم بالبداهة . اهو الزواج الكنسى القابل للطلاق ام الغير قابل له ؟ ام هو الزواج المدنى، الفرنسي او البريطانى ؟ ام هو الزواج بالاقرباء الادنين او بغيرهم ؟ ام هو الزواج المطلق ام الزواج الحرام، الزواج المؤبد او الوقتى ام الزواج بواحدة، او با كثر من واحدة ام . ام . ام. فكلمة زواج تحوى كل هذه المتناقضات

ليس فى الامكان منع الزواج ولكن يجب ان يكون له معنى آخر غير الذى يطلقه عليه المولعون بحل ازمة المساكن ، اعنى اقامه " شخصين فى غرفه " واحدة . ويتساءل المترجم عن السبب الذى يحدو الناس الى شل عقولهم وتصور فكرة خاطئة مفادها استطاعه " اى كان (الحيوان او الانسان) - مادام فى حالة طبيعية - ان يخصص اكثر من بضع ثوان فقط للحب الخالص ، وهل يشاهد الناس ان السبب فى نجاح المسيحية بعد خذلانها السابق هو نتيجة تخصيصها لوقت قصير من اوقات الناس كل سابع يوم فقط لاجل العبادة بعد ما كانت تسخر من قبل كل اوقاتهم لاجلها ؟

لا يخرج معنى الزواج عن تعود اثنين على سكنى منزل واحد واتفاق دخل واحد والاهتمام بنفس الاطفال . فكأنى بالناس يجهلون ان المنزل السعيد هو الذى يقيم صغاره فى المدارس وكباره فى النوادى ، فلا يتواجهون الا امدا قصيراً جداً

وجوب الغاء النظام الحالى

قانون الزواج النافذ فى الوقت الحاضر غير معقول وغير انسانى وكيف لا يكون كذلك واكثر الناس تمسكا به هم اكثرهم خرقا لقدسيته بما يرتكبون وراءه من السفالات . ان السبب فى وجود هذا النظام هو العمل بنص الوصية العاشرة التى اذا وقفت على حقيقة معناها اى فتاة ، وكان لها شىء من عزة النفس لا توافق

على الدخول بين جدران يحكم عليها فيها ان تكون مستعبدة للرجل دائما وكأنها إحدى مقتنياته من الحيوان والاثاث

ان مثل المدافعين عن النظام الحالى كمثل حامية القلعة وهي تسارع الى الدفاع عن الجزء غير المعرض لهجوم الاعداء. فكل شيء يحتج على نظام الزواج وحتى المسيحيه انشأت الرهبنة لتكون احتجاجا حيا عليه الى الابد

اضرار الزواج. قدثبت ان الزواج فعال فى تقليل النسل وهذا هوالذى حدا بالساسة والاكليروس الى التغاضى عن خرق الناس لحرمته وذلك عندما رأوا ان حالتنا مشابهة لحالة سكان منزل اندلعت فيه السنة النيران. وقد هرعوا الى الشارع وهم انصاف عرايا. فكما ان هذه الحالة لاتسمح بالقاء المواعظ والارشادات الحاضة على وجوب تغطية الجسد وكذلك انحطاط النسل فى النوع والكمية لايدع مجالا للتشدق بالاخلاق والآداب. فالواجب اذن ان لايستسلم الساسة الى تهويش الساعين وراء البنوة الشرعية مهما تتجعنها. فنحن فى حاجة قصوى الى الطفل السليم ولو كان ابنا غير شرعى لان فائدته تزيد عن فائدة عشرين طفلا سقماء ولو كانوا شرعيين

واننا نرى لسوء الحظ ان عدد الشبان الاقوياء الذين لايمتلكون ثروة تمكنهم من شراء زوجة ثم الاحتفاظ بها، فى تزايد مستمر، وهذه معضلة اجتماعية يجب حلها قبل مايتفاقم شرها فان الشخص منا لايكتسب دخلا كافيا الا بعد ان يقطع نصف مرحلة الحياة او يكاد ينهيها اى فى الوقت الذى تقل فيه او تمتنع صلاحيته للتناسل الممكن للشبان القيام به. ويحدث هذا تحت سمع الحكومة وبصرها دون ان تجرأ على الوقوف لصد هذا التيار المهلك خوفا من شبح الانتخابات. وليس من الديموقراطية فى شيء ان يتواضع السياسى الى درجة يفهم معها الشعب انه معهم على قدم المساواة بل من واجبه فهام الناس انه متفوق عليهم وانه اعلم بصالحهم منهم. والسياسى وحده المسئول عن رسم الخطط ثم تنفيذها وسواء أكان فولتير مصيبا او مخطئا فى قوله «جميع الناس اعقل من اى الناس» فلاخلاف من وجوب اطاعة الحكومة لارادة الامة. ولكن يجب ان لاتخلط الارادة بالتنفيذ. فمثل اعطاء حق التنفيذ للامة كمثل

اعطاء القاطرة للمسافرين لتسييرها بدلا من حصر حقوقهم فى اختيار المحطة المطلوب الوصول اليها. وانا لا نصل الى الاصلاح عن طريق اعطاء حق التشريع الى العامة فحقهم يقف عند انتخاب الرئيس ووزرائه ثم تسليمهم زمام الامور ليديروها حسبما يرتؤون وللشعب بعد ذلك ابداء موافقته او معارضته لسياستهم ابان التصويت

وهناك داع آخر خلاف التصويت لاحجام الوزراء عن التقدم لاجل اصلاح الزواج . ذلك هو خوفهم من تلقيب المعارضة اياهم بناسفى العائلة واعداء الاخلاق الفاضلة ، وما أشبه ذلك من النعوت التى يخشونها جداً . لذلك نراهم ينزوون بدلا من أن يظهروا كما هو الواجب لافهام الناس ماهم أعرف به منهم مفاسد الزواج : إن أكبر مفسدة للزواج هو اضطرار الامهات والآباء الى العمل بجد على اصطياد الزوج للابنة وكذلك اضطرار الأب ان يعلن بعد ذلك نجاحها فى اقتناص رجل إلى الملأ بواسطة بطاقات توزع على هذا وعلى ذاك

الم يلجأ بعض الآباء رغبة فى الحصول على رجل لابنتهم الى يد أحد الشبان البسطاء بمقاضاته على زعم اخلافه بوعد زواجه من ابنته ؟ وكثيراً مايقع الولد المسكين فى الفخ ويصبح زوجا بالاكراه . وهل هناك من يجهل عذاب الشاب عند مايصبح ويمسى بين اسئلة تنهال عليه من كل صوب عن « آماله فى الزواج » فى حين أن السائلين يعلمون تماماً أن فكرة الزواج لم ولن تخطر ببال الشهيد المسكين ؟ وكم من اكاذيب يقترفها آل الابنة عند الافاضة فى ذكر فضائلها امام الرجل اواهله . فيتكلمون مثلا عن رشاقتها فى العزف فى حين انها حاولت عبثاً احسان ضرب بعض أدوار . فهل هناك فرق بين هذه الوسائل وتلك التى تتبعها البغى ؟ الا لن يزول هذا العار الا اذا استقلت المرأة اقتصاديا عن الرجل . فتعلقها به من أجل أن تأكل يضعها فى مصاف الكلاب التى لا بد لها من صاحب يطعمها . ولتصبح المسألة مسألة اصلاح قانون بقدر ماهى مسألة وجوب ايقاف الاتجار بالرقيق فى ظل القانون ، وما دام الزواج قد عجز عن الاتيان بغير هذه المخازى ، وجبت ازالته لانه لا فائدة من

التشدق بكلمات الفضيلة والنقاوة عند ماتكون اسما على غير مسمى وفى وقت يستهدف فيه المجموع للخطر

لم يدافعون عن الزواج : ولا يسلم الكاثوليكى بصحة الزواج المدنى فهو فى عتقادة زنا . وكذلك يعتبر الارثوذكس زواج المطلق زنا أيضا ، وبالرغم من ذلك نجد أبواب الطرفين ترحب بهؤلاء الزانين فى حين انها تغلق الباب امام اللذين اختار امعاشرة بعضهما دون اجراء مراسيم من أى نوع كان مع انهم لا يفترقون عن بعضهم والكل زناة ولكن ينحصر السبب فى رغبة الناس فى الدفاع عن الملك الا وكم حقر الرجال شيلى واساء النساء اليه وقتما حمل حملته المشهورة على الزواج فى حين انهم لم يحقروا نلسن ولم يسئ اليه عند ما كون لنفسه تحت انوفهم علاقة مثلثه مع السير واللادى هاملتون ؟ اليس ذلك لان الاول حمل على فكرة التملك فنظر اليه الرجل كما ينظر الى سارق الجياد ورأت المرأة فيه المعول الذى يحاول ازالة سقف زوجها لتظهر للناس وهى تقترف ماتقترف من الجرائم ؟ إلا إن التظاهر ولوك الاصطلاحات فى هذا العالم يمسحان الملحد مطرانا ويثبتان الفوضوى قاضيا والمستبد حاكما دمقراطيا

تعدد الزوجات : التعدد منتشر فى الغرب كما هو فى الشرق والفرق ينحصر فى أنه محدود هناك مطلق هنا فاذا عادته اوروبا فانما هى تعادى فكرة التجديد ليس الا . ومن الخطأ القول أن للاخلاق دخل فى قصة التعدد لانها مسألة حسابية تحل على أساس نسبة الجنسين لبعضهما فلو اودت الحرب مثلا بارواح ثلاثة ارباع الرجال وابقت على الربع لتحتم على العقلاء ترديد دعوة محمد . ولو كان النساء ضعف الرجال لوزعن بنسبة زوجتين للرجل الواحد ولكن عددهن لسوء الحظ يزيد واحدة فى كل احد عشر رجلا وامرأة . فكيف يمكن تقسيم هذه المرأة على أحد عشر زوجا ؟ ليس لدينا حل لذلك الا الاعتراف بالبنوة غير الشرعية

ليس السبب فى وجود نساء بلا زواج منحصرا فى عدم التصريح بالتزوج من اكثر من واحدة فقط فهناك سبب آخر يتعلق بنفسية بعض النساء اللاتى لا يرغبن فى معاشرة الرجل، إما هربا من نير الزوجية او زهدا فى اخلاقه . فبأى حق يمنع هؤلاء من التمتع بحقوقهن الطبيعية من حمل وولادة

مثلما يفعل غيرهن ؟ او من العدل ان نجبرهن للاختيار بين حريتهن وبين حرمانهن من حقهن ؟

يشفق النـاس على العامل بلا عمل وقلما يشفقون على المرأة التى لم تتزوج ؟ أليس الزواج عملها الذى نطالبها بعدم التحول عنه ؟ ولماذا لا ندفع لها أجراً على قيامها بواجب الامومة كما ندفع لكل عامل ؟ تقاس ثروة المتوحشين بعدد مايقتنى من النساء لأنهن اللاتى يأتين له بالقوت . وأما نحن فنساؤنا يقاسمننا اجورنا. ذلك لان الهيئة الاجتماعية تحتم عليهن العمل مسخرات

وما دمنا نقتل افراد جنس دون افراد الجنس الآخر فالزيادة تكون دائماً فى جانب ذلك الآخر . ولا يظن انسان اننا نمنع النساء عن حومة القتال شفقة وشهامة كما ندعى، فاننا نفعل ذلك فقط خوفا من انقاص عددهن الامر الذى يسبب انقاص النسل . ينتج عن تعدد النساء كثرة النسل . اما تعدد الازواج فينتج امتناع الحمل . فما دام يوجد أربعة رجال فى كل خمسة عاجزين عن القيام بالانفاق على زوجتين اللهم الا اذا ضوعف دخلهم على الاقل ، فلم لا نسمح للخامس باتخاذ زوجات بنسبة ثروته لنجرب هذه الطريقة أيضاً

المقاومون للتعدد : ليس النساء هن اللاتى يقاومن فكرة التعدد كما يتبادر للذهن فان الرجال هم الذين ينوءون تحت حمل الانفاق على المرأة ويخافون استئثار الغنى بالنساء ولذلك يقاومون الفكرة . واما المرأة فتفضل الحصول على جزء من مائة من ثروة احد اصحاب الملايين عن امتلاك كل ثروة رجل واحد ، فقير. فالمرأة لاتعارض الا (تعـددالازواج) لانه ياتى غير الجميلات على قارعة الطريق .

الطلاق : يحرم الارثوذكس الطـلاق . فلنفرض انه حكم على احد الزوجين بالسجن المؤبد فهل يقبل أن ينتظر الآخر بقية عمره ؟ هذا هو ماحدا بالكثلكة الى اعطاء البابا سلطة كبيرة لحل امثال هذه الاشكالات. قد تتفاوت أسباب الطلاق تفاوتاً بيناً فهنالك أسباب كالتى أبداها هنرى الثامن وقتماطلب طلاقه من كاترين .وهناك اسباب كالتى تبديها بعض الاميركيات مثل عدم تقليم الرجل لاظافر قدميه سهواً وان من الخطأ الظن بان الطلاق يضر الزواج فالامر بالعكس لان الف زواج بدون طلاق معناه الف زواج لا اكثر

واما الف طلاق فمعناه الف زواج والف زواج . اننا اذا اوجدنا شخصا في غرفة مفتحة الابواب لايجدمايدعوه إلى الخروج دون سبب لأن هذا من الميسور كل وقت وهكذا بالضبط الحال مع من يقدر على الطلاق والمشاهد هو أن البلدان التي تساهلت في الطلاق قلت حوادثه فيها عن غيرها. ففي ولاية ووشنجتون التي شرعت أحد عشر سببا للطلاق بلغت حوداثه ١٨٤ في كل مائة ألف نفس واما في اليابان فقدبلغت ٢١٥ في كل مائة الف

يجب ان لانسأل الطالب عن السبب الذي يدعوه لطلب الطلاق حتى لانكون كالقاضي الذي اذا استجار به شخص ممن يريد قتله يسأله ولماذا تريد أن تحيا؟ فالحرية ليست وحدها حقا طبيعيا للانسان فالسعادة ايضاً حق طبيعي له ولا يجبر الناس امرأة على الزواج من رجل تدله في حبها ولا تريده حتى لو هدد بالانتحار وظهر أنه عازم عليه. فلم يجبرونها على أن تكون زوجة رجل لاتطيق مشاهدته . ذلك لأنها اخطأت في قبوله زوجا ؟ ومن هو الذي يجرؤ على الادعاء بانه لايخطيء ؟ اننا باجبارنا اياها على تحمل نير الزوجية نقترف جريمة استعبادها .

ولو صح مايدعونه من أن الزواج بركة لوجب حله متى اصبح مجلبة للشقاء .واذا كان المقصود منه الطفل لزم قطعه اذا تعذر الحمل واذا كان حق الطلاق منح للرجل وحده لانه الذي ينفق على المرأة والاولاد فلم لا نعطيها حق طلاقه اذا اخل بهذا الشرط وانفق ماله في مكان آخر .أما اذا حكمنا بالاشغال الشاقة المؤبدة على الزوجين الذين اخطاءا في اختيار بعضهما وطلبا الانفصال، فنكون اكثر عدلا مما نفعل عندما نجبرهما على متابعة الحياة الزوجية البغيضة التعسة

آراؤه في التربية

معايب الزينة المنزلية :الطفل فرصة يجب انتهازها لتكوين الرجل الكامل ولكنا نعمل لسوء الحظ على إضاعة هذه الفرصة بمحاولتنا تكوينه على صورة خيالية بارهاقه املا في أن يكون نيوتن زمانه او ليبنتز عصره او ليكون بمجموعة الفطاحل الذين تحفظ ذاكرتنا اسماءهم وهو أمر من الاستحالة بمكان . الطفل حيوان مزعج كثير الحركة فضولي .فلو كانت هذه

الصفات تظهره لنا وحشاً يجب ترويضه فنهدده بالعقاب، نكون كأننا نفهمه باننا اكثر منه قدرة على الشر واذا وضعناه تحت مراقبة شخص وقور يكره الضجيج ويسأم كثرة الاسئلة نظلمه ونقسو عليه بمعاملتنا اياه معاملة غير طبيعية لأنه كلما زاد وقار المربي اكثر من التضييق على حرية الطفل. فاعطوا للطفل حريته واتركوا الشيخ فى دثاره

لم لا نترك الطفل ينمو نموه الطبيعى (أو كما تقولون ينمو حسب مشيئة الله) دون أن نسعى فى تحويل اتجاه نموه الى ما نتصوره له من مستقبل دون التفات الى ما اذا كان استعداده أكثر الى الموسيقى أو الى الاجرام. وكثير من الاباء ينجحون فى تشويش حياة الطفل اعتقادا منهم بانهم واقفون على حقيقة ميوله ولهذا نجد أن عدد الذين تغلبت طفولتهم على غباوة آبائهم كنابليون مثلا قليل جداً ورجال التربية مشتغلون بحل معضله « هل يصح ترك الطفل يفعل ما يشاء » ولكنهم يضعون السؤال على غير ما يجب أن يكون فالواجب أن يبحثوا « هل يصح ترك الآباء يفعلون بابنائهم ما يشاؤون » لان هناك فرقا بين ترك الطفل ليكون شريرا وبين ترك الشرير يفعل بالطفل ما يشاء من الشر

تقول إن فلانا وافر العقل لانه لا يضرب طفله الا اذا خالف أمره مخالفة صريحة. وهذا لاننا نجهل أن معنى هذا الضرب ليس أكثر من رغبته فى افهام طفله أن والده نادرة المخلوقات ويخيره بين أن يقلده وبين سلخ جلده. واذا قلنا للطفل لا تصرخ وفرض أنه سألنا عن السبب وكان لنا حلم فاجبناه بان السبب هو لان صراخه يهيج الاعصاب. فهل يفقه الصغير معنى لاهاجة الاعصاب؟ وحتى اذا فرض انه فهم فهلا يكون ذلك سبباً لازادة صراخه ليزداد سروره. وهناك من يرى فى الطفل عزيزاً محبوبا مسليا ويعتقد أن الطفولة مجلبة للخطايا ولذلك يضيق على الطفل الخناق بمعاملته له كالعصفور المحبوب فيحيطه بسياج مبرقش خوف افلاته ناسياً ان الاسر لم يكن يوما الاسببا فى انحطاط الجسد والفكر. يجب أن نعطى الطفل حريته كى يفعل ما يشاء بكسر ما يريد ويصيح قدر ما يود ويلعب وقتما شاء ويجب فقط ايقافه عند حده اذا شرع فى تقييد حرية الغير

سئلت ذات مرة كي اهب جائزة لاحدى المدارس فرغبت فى اعطائها

لاكثر التلاميذ شقاوة مشترطا أن تحفظ المدرسة لديها بيانا عن نسبة نجاح الاشقياء وغير الاشقياء عندما ينزلون ميدان الحياة فرفضوا قبولها .

الرجل العظيم لا يخرج الا من البيت الكثير الاطفال لان الاهتمام الفردى يزول فى مثل هذا الوسط وهكذا يفلت الطفل من مخالب حنو والديه بخسارة تقل عن خسارة الولد المدلل الوحيد . واذا كان الطفل أبو الرجل كما يقولون فلم تربيه على أساس أن الرجل أبوه بدلا من أن تضعه فى مصاف الآلهة ؟ أليس الله أبانا الذى فى السموات ؟ اذن فلنرب الطفل على مثال ذلك الاب

معايب التربية المدرسية : انك اذا زرت مدرسة من المدارس ترى الخرائط والصور معلقة على الحوائط بنظام بشع . وكذلك تجد بضع اوان زجاجية محفوظة فى دولاب مغلق بدلا من تركها للأطفال كى تتكون لديهم فكرة عن ثقل الرطل وطول الذراع . وقد ترى آثار اغارة رجل قليل العقل على أعشاش العصافير لاجل أن يقتلها فهذا العش فى زجاجة تتوسطه مومياء الطير المسكين . وهكذا يحرضون الاطفال على ارتكاب جرائم مشابهة لهذه كلما سنحت لهم الفرص . فهل يعتقد هؤلاء البلهاء أن فى امكانهم حصر الطبيعة بجمالها فى تلك البؤر المسماة خطأ مدارس ؟

كان يطلب منا وقت ان كنت فى المدرسة حفظ قطع لاتينيه عن ظهر قلب فكنت استظهرها ولكن لم يحاول المعلم سؤالى ولو مرة واحدة لاعتقاده انى حفظتها بل يسأل الذين يعتقد أنهم لم يحفظوها وكنت أنسى ما حفظته بمرور الزمن دون أن يثبت منه شىء فى رأسى وهكذا نحن نجبر الطفل على حفظ الصلوات والادعية دون أن يفقه لها معنى. مثله فى ذلك مثل اكثر الراشدين وفى هذا ضياع وقت واجهاد كان يصح أن يستعمل فى ملء رأس الطفل بافكار قيمته وكما أن البائس الحزين يميل الى قراءة « نشيد الانشاد » بدلا من « سفر أيوب » هكذا اليفع يميلون الى مطالعة « دون جوان » وليس « حياة المسيح » فمن الغباوة اذن أن نجبر الطفل على مطالعة « كيف تتشبه بالمخلص » فى حين يوجد لدينا « جزيرة الكنز » إن قراءة « حياة القديس انطونيوس » تلذ ابن الخمسين واما ابن الخامسة عشر فلا يلذه غير قراءة « ايفان هو » قديسا كان أو شيطانا

التربية الاستقلالية : اذكر ان احدى قريباتى وكانت تجبن عن ركوب الخيل اركبتنى ذات مرة مهرا صغيرا بعد ماوضعت المهماز فى رجلى ولما ظهرت على امارات الهلع اغربت فى الضحك ولم تفكر ابدا فى العاقبة التى كنت القاهـا لو همزت الفرس عفوا . فهذه السيدة نفسها رأتنى اقرأ فى كتاب الف ليلة فهلعت ثم خطفت منى الكتاب واخفته حتى لاتتدنس نفسى فهى تود تخليصها، اما دق عنقى فليس فى نظرها بالشيء المهم . وهكذا نشأت الامة الانجليزية خشنة الجسد جبانة النفس . وكما ان الرجل الذى ليس له الحق فى استهداف رقبته للكسر اذا رغب فى الطيران يكون غير مالك لحريته ، هكذا الرجل الذى ليس له حق فى استهداف نفسه للخطيئة اذا رام أن يكون ملحدا . وللانسان الحق فى ان يكون حرا وليس عندما يبلغ الحادية والعشرين من عمره ، بل متى عمر واحدة وعشرين ثانية فقط

ويظهر ان الحكومات رغبة منها فى اقلال مشغوليتها تميل الى هدم الحرية والى اكبار السلطة وخصوصا سلطتها فما دام الناس ينشئون عبيدا فان من الخطر ان تقول لهم اذا مابلغوا الحادية والعشرين من سنهم «انتم احرار» لانه لايمكن للعبـد ذى النفس الكسيرة والروح الضعيفة ان يعرف معنى للحرية

الحرية صناعة صعبة يجب ان يشب عليها الشخص اذ لا يمكن لامه نشأ اشخاصها فى نظام استبدادى ان تحكم على الاصول الديموقراطية الصرفه حتى ولو كان قانونها قانون امريكا ولو هدم بستيلها وطاحت رؤوس دعاة الاستبداد فيها ولو سلمت مقاليد أمورها بيدها

ان انظمتنا الراقية تخفى تحتها كل انواع الضغط والارهاق والظلم والعدوان لالشيء الا لان اطفالنا يشبون فى الاستعباد . الستم تشاهدون حرية الطفل مفقودة فى المدرسة حتى وقت اللعب اذ لا يتركونه يلعب حين يشاء وقدر مايشاء بل يعينون له الوقت ثم يلعبونه حتى الملل

المدرسة ليست الا «اسطبلا» لحفظ الاولاد كى لايزعجوا والديهم. فقد اصبحت مودة العصر ان لايرى الطفل والديه الا وقت تغيير فصول السنة

الحط من قيمة العمل: ان دأب المدارس يدورحول تشويه العمل وتحقيره الا تراهم كلما اذنب الطفل طالبوه بالقيام بعمل ويزداد العمل بازدياد الذنب ؟ مسكين انت ايها العمل فكل شيء مضاد لك حتى الاديان فانها تصور الجنة كأنها مكان لاجازة ابدية ونحن المساكين لا نقدر ان نفهم ان الجنة كما يصورونها ليست الا مكانا كئيبا لا لذة فيه اذ كيف يمكن لأى كان ان يقضى فيها يوما كاملا فى هناء ؟ السنا نرى الذين يتسابقون لجمع المال كى يوجدوا الجنة على وجه الأرض يشقون طول يومهم فى ابدية الالعاب الرياضية ليتمكنوا من هضم طعامهم كى تعود اليهم لذة الاكل ؟ الا تراهم يعملون مسخرين مايعمله غيرهم مثل سوق السيارات والعربات والتزاحم تحت اقدام الكبراء والملوك للخدمة والسير فى الطرقات بثياب جميلة يعلنون بها عن الصانع والتاجر الى غير ذلك من الاعمال التى يمتهنها غيرهم باجر ؟ لقد صدق المثل القائل « ان الجنة مكان قداسة ، واما النار فمكان اجتماع »

ان فكرة دخول الجنة التى لا عمل فيها تستهوى العامل المسكين الذى يأكل قليلا ويعمل كثيرا . واما ذاك الذى لا يعمل شيئاً ويأكل كثيرا فشوقه يكون الى سماء اكلها قليل وعملها كثير .

كيف يجب ان تفعل : يكفى الانسان ان يعرف اصول السير فى الطرق وقراءة الاعلانات وكيفية ملء تذاكر الانتخاب وشراء الحاجات وبالاختصار يعرف « كم فوله تكون خمس فولات » هذا اولا ثم يتعلم بعد ذلك مبادىء الاقتصاد والقانون والزراعة والصحة اى كل مايفيده فى حياته اما تعليم الجامعات فيعتاض عنه بما تقوم به انظمة الخدمة العامة فى الوقت الحاضر من القاء المحاضرات المتنقلة والتعليم بالمراسلة والتدريس بواسطة الفونوغراف والسينما لان الجامعات لا تعلم الناس عن افلاطون الا ما كان يعرفه افلاطون فهى أمكنة تحوى مخاليق تشجع الثقافة وتبحث الثقافة وتنتقد الثقافه ولكن الى أية غاية ؟ فان الذى يخرج من الجامعة لا تزيد معلوماته عن تاجر القماش الملازم لدكانه عندما يخرجا معاً من أوساطهما الى معمعة الحياة

واذا كان لا بد من وجود جامعات ، فليطلب منها أن تحتم على من يدخلها أن يكتسب رزقه ولو لبضع سنين

وما دام المنزل لايصلح ان يكون مكانا للاطفال وكذلك المدرسة فقد يسأل سائل « هل تريدنا ان نلقيهم على قارعة الطريق » وهذا بلا شك احسن بكثير من وجودهم فى تلك المعاهد . ولكن هناك رأيا أحسن وهو توجيه وجودهم الى العمل المستمر الذى فيه فائدة لهم. وهلا ترون الاطفال يهربون من المنازل والمدارس إلى الحقول والمصانع؟ اعطوا للطفل عملا تقل ضوضاؤه ، ووجهوا ميله الى الحركة للفائدة العامة لان الشيطان يجتهد دائماً فى خلق شرور للعاطلين

وهنا يجب أن انبه إلى أنه يوجد فرق بين توجيه نشاط الطفل من صغره إلى العمل المنتج وبين استثمار عضلاته الضعيفة باجباره على العمل الشاق عشر ساعات متوالية كل يوم

يجب أن لايجبر الطفل على اتمام تربيته فى عدد محدود من السنين ، لانه يتربى طول حياته وحتى عند موته يكون ناقص التربية .

لهذا ارى أن نظام تربيتنا الحديثة من اسخف مميزات المدنية الحاضرة

فى الادب

سننشر تحت هذا العنوان بين وقت واخر مقالات قيمة يدبجها يراع العالم العلامه والبحر الفهامة سماحة الاستاذ الكبير الشيخ حسين محمود الشهير بالحجة التى لاترد

دخل اعرابى حقير على معن بن زائدة يختبر حلمه الذى طالما سمع عنه فابتدره جلالته (١) منشدا اتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير فقال الملك اذكرذلك ولا انساه الى ماشاءالله فالأعرابى يذكرنى شعره هذا جلد شاة وهذه استعارة فصيحة تبرهن على المام العرب الاماجدبالتاريخ حديثه وقديمه . فقدكان لحضرة صاحب الجلالة معن لحافا من دمقس موشى باللؤلؤ والالماس مخاطا بالحرير الليونى نمرة واحد ولشدة قرص الزمهرير فى جزيرة (٢) العرب السعيدة ابان فصل الصيف يتدثر العرب بدلا من الثياب القطنية الحقيقة اخرى محاكة من الصوف والشاة التى يشير اليها هى الكبش الذى ضحاه خليل الله ابراهيم بدلا من ولده وفلذة كبده اسماعيل (٣) الذبيح فان هذا الصوف الفريد فى بابه هو الذى حشى به لحاف جلالة ابن زائدة وكان مكتوبا على كل خصلة منه لفظه شفيت التى حرفها الانكليز الى شفيوت واما البعير الذى صنعت النعلان من جلده فهو ناقة صالح التى عقرها عندما شقت به جوف الجبل وانثلمت الثغرة على أثر دخولها وبالطبع لايحتاج الامر الى شرح الفلسفة الظاهرة فى هذا البيت الشهير قال الاعرابى

فسبحان الذى اعطاك ملكا   وعلمك الجلوس على السرير

فاجاب ابن زائدة على ذلك قائلا سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء وهذا هو اكبر برهان على قدرة البارى التى لا تجارى فأليس تسبيح الله على هيئة كهذه اثبات حى ونيته لاترد على ان البارى اهل للتسبيح باسمه ويظهر ان معن هو اول من جلس والا فكيف يقول الاعرابى ان الله تعالى (علمه)

---

(١) يقال ان معن كان اميرا ولكن يظهر من قول حضرة الاعرابى انه اعطى منسكا (٣) يكذب الفرنجه فى ادعائهم انها سنه جزيره وهم يتعمدون عدم ذكر بحر العرب الرملى الذى يصل سوريا بماء النهرين (٣) ويقول الذميين كذبا انه اسحق

الجلوس على السرير فيظهر ان الناس كانوا يقفون على ارجلهم والا يستلقون على الارض فاول من ركبت له مفاصل من البشر هو السيد معن . اما بخصوص ماركة العرير فبالبحث الطويل ثبت لدى انهـا كانت ماركة فوليبس (٤) بلتكان (٥) والمقصود من هذا هو اظهار جلالة الملك فى اعظم مظاهر الترف كسولا لايعمل كبقية الاشقياء التعساء

فجد لى يا بن ناقصة بشىء ... فانى قد عزمت على المسير

فقال اعطوه مائة الف دينار (خمسين الف جنيها)

وفى هذا البيت تتجلى للقارىء درجة التقدم الاخلاقى الذى وصل اليه السلف الصالح . الا ترى الاعرابى شحاذا للجود فى ظرف ويظهر أن ابن زائدة كان يجيد الحساب فلم يفرق بين الزائد والناقص . قال سيبويه عن ظافر عن شأبوب عن الاصفهانى ان البلاغة فى القصة تنحصر فى لفظة ناقصة ومعاذ الله أن يريد الغربى اساءة الادب باتهام ام جلالة معن بأنها نا قصة الادب كما يدعى الافرنج، حاشا وكلا . بل هنا كناية عن وفاة السيدة المصونة والدته . ألا تراه يتبعها له قائلا بانه ابن التى نقص عدد العالم بوفاتها قال عبد الرحمن عن سعد بن أبى وقاص عن عميد ابن أبى جابر ويظهر أن معن لم يفهم مرمى الاعرابى فاعطاه شيئا يسيرا لا يذكر وعلى ذلك لم يكن العطاء أكثر من حمل بعير من الذهب الخالص وعلى كل ففيها قولان والله أعلم

قليل ما اتيت به وانى ... لاطمع منك بالمال الكثير

فلاعشت اذملكت الملك رزقا ... بلا عقل ولا فكر منير

فكان الجواب لا أكثر من أعطوه مائتى الف أخرى

هكذا خرج الاعرابى ببدرة من المال اشترى بها حفنة من التمر وصاعا من شعير (٦) فلو كان جلالة الملك معن أمر له بهذه المليمات لما اساء المدعون العلم من الفرنجة فهم القصة

---

(٤) فوليبس بن نفتزين هو اشهر اصحاب المصانع للموبليات فى ذلك العصر وكانت قوته الان تزيد عن مائه الف الف جمل تشير كلها باشعه الراديو الامر الذى لم نتوصل اليه حرفيا الافرنجى فيليبس

(٥) بلتكان مجموعة أحرف رمزية عددها خمسة كانت ماركة المحل المسجلة

(٦) يقال ان الشعير كان مخلوطا بالتبن ويقال بل كان شعيرا صرفا والشعير نوع من الفالوذج اللذيذ الطعم

وكلنا يعلم أن أساتذة الادب فى العالم الغربى يحفظون تلامذتهم هذه القصة ليكونوا كذلك العربى حين يكلمون أصحاب الحل والعقد منهم سمعت سلام ابن جنبيط يقول سمعت من بدر بن كامل عن حمرويه أن هناك فئة تقول إن هذه القصة موضوعة خصيصاً لمواساة الذين يسقطون فى السنة الاولى الاولية اذ فى القصة اظهار معن جاهلا بمبادىء الجمع والطرح وحاول الاعرابى المغالطة فنجح ولكن هذا السند ضعيف

كتبه الفقير اليه تعالى

الاستاذ الكبير حجة الاسلام

حسين محمود

مذكرات (انا)

بقلم (ى)

— ٩ —

أيها الشاب هل بدأت تفهم للحياة معنى؟ انى أريد اليوم أن ألقى عليك بموجز مما خبرته مدة حياتى القصيرة الحاملة بالاختبارات. فقد حاولت كيفية الشبان أن أشق لنفسى طريقاً الى المجد بقوة الذراع المفتول والشباب الغض متسلحاً بقشور من العلوم كانت الى عهد قريب يدعو الى الدهشة وتستدعى انتباها زائداً. وهل كان في امكان أحد اقناعى بأننى لا أفهم من « فلسفة الاجتماع » الا القليل ومن « الاقتصاد الاجتماعى » الا قشوره وكنت قد أجريت بعض محاولات لدرس كل العلوم التى مر اسمها على ولكنى رجعت مراراً خاسئاً. ولكن بالرغم من ذلك فكثيراً ماموهت على نفسى بأننى صرت عالماً بكل مامررت بنظرى عليه من العلوم. وأما الخبرة فلم تخطر لى ببال أبداً ولم أفكر حتى في وجود شيء قيم اسمه الاختبار. بهذه العقلية وبهذه المعلومات شمرت عن ساعدى محاولا شق طريق لى الى الامام فكنت اذا ماقرأت رأياً لرجل فى جريدة أو مجلة سودت بضع صفحات مملوءة بالتهكم والتشهير أرسلها الى الجريدة طالباً نشرها رداً على صاحب الرأى فتلق طبعاً فى سلة المهملات وعند ما كنت أيأس من نشرها كنت أهز كتفى استخفافاً وأقول اننى مخطىء بالقاء أفكارى الطريقة الى هؤلاء الجهلة وأصمم على وجوب الترفع عن إبداء أفكارى على صفحات يشرف على تنظيمها مدعون ولكنى لا ألبث حتى يستنفرنى رجل آخر فأقوم أكتب مرة أخرى ولكن بدون نتيجة. وظللت مثابراً على خطتى هذه خمس سنين كاملة إلى أن أتاح الحظ لى أحد رؤساء التحرير الذى رأى فيما أكتبه شيئاً يستحق النشر فعكف على تنقية الثمين منه من الغث وجعل يربطه ببعضه بجمل من عنده. هكذا ولجت عالم الصحافة بفضل فراسة ذلك الرجل الذى افتخر بأننى

تتلمذت على يديه دون أن تكون بينى و بينه معرفة . والآن أسائل أرباب الصحف والمجلات لم لايهتمون كما اهتم ذلك الشخص بتهذيب اندفاعات الشبيبة ليشجعوهم على الدخول في حومة تبادل الافكار . فان الشاب بالرغم من الحدة التى تتجلى فى أراءه لهو سفير العالم الجديد للعالم القديم وهو المجدد لشباب الصحافة ومخلصها من جمود عقليات المحررين المتدربين الذين احترفوا الكتابة فانحصر همهم فى الجرى وراء المرتب وقل اهتمامهم بالموضوع .

وهل هناك ألذ من قراءة تصورات الشباب ومحاولاتهم ملء عدة صفحات بأراء مقتبسة من هنا وهناك استلفتت أنظارهم لغرابتها وتنافرها ؟ أليس من الملذ والمضحك قراءة مايحاوله الشاب من إثارة ثورة اجتماعية مثلا في وسط من الاوساط بجرة قلم بضع مرات على صفحات جريدة أو مجلة ؟ ولكن يجب أن لا ننسى بأن لهذه الكتابات تأثير لاشك فيه فى الوسط وتحويل لاتجاه جهود الصحافيين مع تغذية أقلامهم بمواضيع جديدة لابد لأغلبهم من الاطلاع عليها قبل الخوض فيها وهكذا يعود الفضل في تحول جرائد اليوم عن مواضيعها القديمة البالية الى تخبطات الشبان وآرائهم الغير ناضجة .

وكانت فكرة العمل الحر قد ملكت لبى فجاهدت أمداً غير قصير باحثاً عن عمل حر ولكننى أخفقت فقد قدمت مشروعاً لاصلاح مستوى الحياة الريفى لأحد الامراء ولكنه لم يعر مشروعى أى اهتمام وبالرغم من أننى أشعر الآن بعظم المسئولية التى كنت عازما على تحملها . وبالرغم من أننى بدأت أفهم عظم الاخطاء التى كنت سأتعرض لارتكابها لازلت مصراً على أننى كنت سأفيد بعض الفائدة التى كانت تزداد بالطبع بمرور الزمن وزيادة الاختبار ولولا الاخطاء لما وصل الناس الى النجاح وما تمرن الشبان على القيام بالاعمال العظيمة . واذا كان هناك سبب لتقدم الامم الغربية فانه ينحصر فى ايكال الاعمال ذات المسئولية للشبان مع التغاضى عن أغلاطهم الغير قائمة على الاهمال . وارشادهم الى نقط الضعف ولم يثننى اخفائى فى محاولتى الاولى عن عزمى فأقدمت على أمر آخر اذ التجأت الى رجل من كبار رجال الاعمال طالباً منه تدريبى على العمل

معه . ولوكان قبل ذلك لكنت تنفذت له بلا مقابل. ولكن كثرة أعماله أجبرته على التسويف وأخيراً حدث لسوء حظي انه فقد زوجه فلما قصدته لكى أحصل على كلمة الفصل حسب اتفاق سابق أفضى الى بمصابه الاليم . ولكن انى لى أن أفهم ما كان ينتظر سماعه منى من كلمات العطف والمواساة وكان جمودى هذا خاتمة الصلة بين مستقبلي و بين مساعدة رجل أكن له أقصى ما خطر ببالى من الاحترام الى اليوم

والآن أتساءل لم ينتظر رجل عظيم مثل هذا منى الادلاء ببضع ألفاظ جوفاء يستعملها كل فرد دون أن يعنى ما تحتويه . وهل هي الانانية التى جعلته يشيح بوجهه عنى بعد اقباله أم هو شيء آخر يخرج عن كونى غير جدير بثقته لأن اعتقادى لا يتزحزح فى كونه كان يجد في شخصاً يصلح لعمل سيء وفيه رجاء .

لازلت معتقداً انى غير مقصر نحوه بعدم تظاهرى بالألم الذى لم أشعر به ولكن مالذى يمكن عمله والبشر بطبيعتهم ميالون الى سماع الكلمات الجوفاء فى حين أنهم واثقون تماماً من أنها لا تفيد شيئاً فمن ذا الذى قال له انى أتألم لوفاة من لم أرها ؟

هذان مثلان من الامثلة العديدة التى حاولت بها الدخول فى معمعة العمل الحر ولا أذكر الطلبات العديدة التى قدمتها للشركات الافرنكية وكانت تقابل بالاسف فلم يعد أمامى الا اختيار بين أشياء ثلاث . إما الاتجار برأس مال خاص وكنت لا أمتلك قرشاً واحداً أو أبقى عاطلا وليس لدى منبع للرزق أو أن ألتجىء الى تكية مصر الكبرى وبالطبع اخترت الاخيرة فالى التكية ذهبت

ولا يظن القارىء أن دخول التكية أمر سهل فانك تحتاج الى توصيات قوية إذا كانت لديك أوراق مبرقشة كان بها وإلا فما أيسر لفظة « معلهش » أما كيف دخلت التكية فمسألة تحتاج الى بسط . فقدكان أبى صاحب مركز ممتاز نوعا وصادف أن قابل أحد كبار الموظفين الاجانب و بعد التحية ذكر أبى له عرضاً مسألتى فطلب الاجنبى أن يرانى ثانى يوم . ولما تكلم معى بضع كلمات دعى اليه أحد كبار الموظفين الوطنيين وهو الآن أحد أعاظم الرجال فى مصر وطلب منه

تعييني ففعل دون أن يسألني ما اذا كنت أعرف شيئاً أم لا وهكذا احتسبت ماهيتي الصغيرة على الوفورات ومعنى هـذا أنني عينت دون حاجة الى ولم أحظى وحدى بهذه النعمة فلا يزال في دور الحكومة مثلي كثيرون . أليست الحكومة اذن تكايا بكل ما في الكلمة من معنى

وقضيت تسعة أشهر لا أعمل شيئاً الا الامضاء لقبض مرتبي . وكنت كلما هممت بفتح كتاب لقراءته نهرني رئيسي المعاشر فكنت أعتذر بعدم وجود ما يشغلني فأحالني أولا الى « الدوسيهات » للاطلاع عليها فكنت أجد فيها أغلاطاً كبيرة ظننت لاول وهلة أنني أحوز حظوى عظيمة لديه اذا أبرزتها ولكن الرئيس غضب من ذلك وحرمني التسلية الوحيدة التي وهبها لى فلم أعد أجسر على لمس الدوسيهات المقدسة وارتفع صوتي بالتذمر فأحالني رئيسي الى رئيس أكبر كان مغضوباً عليه من أكبر الرؤساء الوطنيين . وهـذا أخذ ينصحني قائلا كيف أغضب من الراحة وهي نعمة لا تتيسر الا للقليل ممن حباهم الله وقال لى انه قضى خمس سنوات بلا عمل لغضب الطاغية الوطنى عليه . ولما أظهرت عدم الاقتناع طلب الى أن أكتب له خطابا بالانكليزية وأملانى موضوعه فكتبت له ما أراد ولكنه ثار وصاح بي « وهل هنا محل كتابة شعر شكسبير » و بعد جدال فهمت منه أن ما كتبته ليس انكليزى وانه لا يعرف بأى لغة كتبت وعبثاً حاولت اقناعه بأن الخطاب مكتوب بالانكليزية فطلب منى أن أكتبه بلغة سهلة ولما كتبته كما أراد قال لى ولماذا تشتم الرجل ؟ ان خطابك لايحوى حتى ولا I have the honor to inform yon that ومسك بيديه القلم وكتب بعد محو واضافة فى ساعة من الزمن انموذج خطاباً بالانكليزية لكي أنسج مستقبلا على منواله . فلما اطلعت عليه وجدته عربياً متكلنزاً ولأجل أن يعرف القارىء النسق ماعليه الا أن يترجم « بعد السلام على حضرتكم والسؤال عن عزيز خاطركم و يسوءنى وأعن الله أن أتأخر عن تأدية واجب المكاتبة بأنكليزية ركيكه جداً فلم أتمالك من توجيه نظرة الى ضعف النسق وكان هذا آخر عهدى به اذ كلفت ثانى يوم بالنزول الى الدور الاول لامساعد فى قلم الحسابات ولكن رئيس القلم ارتأى

أننى غير دقيق لاتمام العمل الذى أناطه بى فى يومين فى حين أن « العفريت ليس فى امكانه انهائه فى أقل من نصف شهر » وهكذا كان « خلقى » السبب فى نبذى من كل قلم أهبط عليه الى أن يسر الله لى الخلاص فقذف بى للعمل من رئيس أجنبى

— ١٠ —

وكنت أعتقد كبقية الناس أن بنى التاميز على شىء كثير من العلم وأنهم أنظف خلق الله ذمة ولكن التجارب علمتنى أن أغلب الذين يأتون منهم الى مصر بالاقل ليسوا عند ظن الناس بهم مع أنهم كانوا يوازون أرقى طبقات الموظفين المصريين مقدرة فى ذلك الوقت

فأولا كان سكرتير الرئيس الانكليزى هو الكل فى الكل وكم كان يمضى الرئيس أوراق بيضاء يتركها لى أملأها فكان مثلا من اختصاص رئيسى رسم خطط للتجارب الفنية السنوية . ومع أننى كنت غريباً عن الفن كان من عملى تنظيم مشروع التجارب فكنت ألجأ الى صغار الموظفين الفنيين من الاجانب للقيام بذلك ثم أقدمه كما لو كان من عندياتى . وهنا لايسعنى الا أن أذكر آسفاً بأن الفنيين المصريين كانوا أجهل منى فى فنهم اذ كان يقتصر عملهم على مراقبة العمال فى تنفيذ الاوامر دون أن يفهموا الغاية التى يعملون لاجلها . وهؤلاء المراقبون هم الذين يحتلون الآن الوظائف الفنية الكبرى فى دور الحكومة ومن ضمن واجبات السكرتير أن تكون عيناه ناظرة وأذناه سامعة ليفضى لرئيسه بكل مايسمعه ويراه فهو جاسوس له ويترك له الرئيس مقابل هذه المهنة الشريفة اجراء كل ما يريده ولو خالف القانون والعرف . وسعيد هو السكرتير الذى كان يفهم واجبات وظيفته ويقدر على تأديتها وسعيد هو الذى كان يعرف القانون المالى ويفهم كيف يطبقه بصالحه

وكانت حركة عام ١٩١٩ فانضممت بالطبع لها وأحزبت وكنت أظنها جدية ففتحت الشراع الى آخره أمام رئيسى وكنت أجادله فى أحقية طلباتنا وعدم خضوعهم الى الحق فكان يستمع منى بسكون ويتظاهر بالروية ولكن لم تلبث

الحركة العنيفة حتى خبت فوجدت نفسى ملقى على قارعة الطريق وعبثاً فكرت كيف بقى أمثاله فى مراكزهم واستفادوا بالعلاوات والدرجات بعكس وهم على ما قالوا لى ولغيرى بذلوا الجهد الجهيد لعرقلة أعمال الدخلاء . مسكين أنا فقد صدقت كل ذلك عندئذ ولكن أخيرا فقط عرفت بأننى كنت الوحيد الصريح

وبعد أن خمدت النار المتأججة واحتل الاسى نفسى دبر البعض حركة ثانية للاضراب فانضممت اليها ليس تحمساً بل حفظاً لشخصيتى لان اعتقادى انقلب ضد أولئك النفر الذين يعكرون الماء ليصطادوا فيه وكم دهشت عند ما اطلعت عرضا على أسباب تغيب رفقائى مدة الاضراب وكانت مقيدة بأيديهم أمام اسمائهم في كشف . صدقنى أيها القارىء اننى كنت الوحيد الذى أكتب أمامه سبب عدم حضورى الانضمام الى حركة الاضراب وهو مااتفقنا على كتابته وكان كل منا لايرى من الورقة الا المكان المعد له فقط . فقد كتب البعض أن والده مريض وذكر البعض أنه كان مزكوماً وأبدى البعض أن قريباً له توفى وغيره أن الطريق كان غير أمن من الخطرات وغيره انه حضر ولم يجد أحداً وغيره انه خاف من اضطهاد رفقاءه له وأشجع الكل فرد أبى ابداء سبب فكتب الرئيس بيده في الفراغ « أبى ابداء سبب »

وأنى الآن أتصور تلك الضحية التى خرجت من حناجر أربعة عشر مليوناً من النفوس تطالب بالاستقلال التام أو الموت الزؤام وأرى بعينى الخيال تلك الحجافل التى كانت تموج بها الطرقات مهددة متوعدة وتلك الجثث المضرجة بالدماء الملقاة على الارض . واذكر كيف أصبحت العربة تدفع الحصان بعد ما كان الحصان يجرها بصعوبة وأخيراً رأيتها قد انفكت عنه فاذا به يركض أمامها دون أن يلتفت الى الخلف وعلى حين فجأة شعر بأنه أفلت منها ولما أدار رأسه وجدها قد انقلبت رأساً على عقب تدور عجلاتها دون أن تتحرك . وتطلعت الى وجه الحصان فرأيته يقطر عرقا من الخجل يريد أن يتقدم فلا تطاوعه رجلاه ويروم أن يتقهقر فتمنعه عزة نفسه كل ذلك رأيته وأنا أشعر كأننى فى حلم مرعب

وسمعت أجزاء العجلات تتصايح تفاخر بعضها البعض وكأنها كانت

تجهل عظم الجنية التى بدت ظاهرة للعيان وهل نظر حافظ فى عالم الغيب عند ما خطت أنامله

ليس فيها إلا الـكلام و إلا   حسرة بعد حسرة تتهادى

أجل هاهى العجلة لاتزال تدور بقوة الاستمرار وأخذ ضجيجها يخفت وقد رأيت الحصان لايجرأ أن يدير رأسه ليرجع كما تقدم ولـكنه أخذ يرجع بظهره قليلا قليلا برأس منكسة حتى اذا ماوصل الى منتصف الطريق سقط فمات أعياء

وهـذه الاصوات لاتذكر له حسنة إلا لاكتساب مركز أو أجر وهـذه هى الادران العالقة بذكراه ترفع أصواتها لاول مرة مطالبة بحقها فى التصدر و بدلا من أن تلافى الفوضى تزيدها بجهلها وسوء قصدها

ايه أيتها الشبيبة هـذا هو ثالث زعيم مصرى شاهدته ينتحر هماً وكمداً فوارحمتاه لثلاثهم انتهى

ملخصه بتصرف   (١ . . .)

الاقتصاد

لكاتبه المصرى بوده

اخذت الجرائد اليومية تعول منادية بوجوب تلافى الحالة الاقتصادية المريعة التى تضيق على الفلاح الخناق وانك لو امتزجت بمختلف سكان القطر لما سمعت حمدا ولا شكرا بل يشكوا اليك الكل من الضيق المستحكم فيخيل اليك لاول وهلة أن الازمة متحكمة . ولكنك لاتلبث حتى يتضح لك أن هذه الصيحات نتجت عن سوء تصرف ادى إلى ضيق مفتعل . فالفلاح يجهل كيف ينظم انتاجه ولا يحاول أن ينظم نفقاته. لنفترض ان مزارعا متوسط الحال يمتلك عشرة فدادين لا اكثر هو موضوع الدرس فاول مايصح استنتاجه هو أن مدخول هذا الشخص الشهرى يتراوح بين عشرة وخمسة عشر جنيها وهو مبلغ لابأس به لرجل مثله يعيش عيشة بسيطة في قرية لم تدخلها دواعى الترف مطلقا . فاذا تعهد مايملكه بعناية لما احتاج إلى ملء الدنيا صياحا كما يفعل الآن . لانه يسكن فى منزله الخاص ولديه مطيته . ومن ماشيته ينتج حاجته من السمن والجبن واللبن وفى امكانه انتاج مايحتاج اليه من الخضروات من ارضه دون أن يخل بمحصوله الكبير فوالحالة هذه يكون معتمداً على ايراده فى استجلاب حاجته من الكساء وما يريده من اسباب الترف وهى لديه قليلة

لنلج الآن منزله فنرى أنه يحيا في شبه مربط للبهائم فالاثاث وسخ مخرق والارض والحيطان يدعوان الزائر إلى الانقباض. الامر الذى تستدر الاشفاق عليه واذا تطلعت إلى اطفاله وجدتهم قذرين مهملين جهلاء .ذلك لانه يضن بدفع بضع قروش لتعليمهم ولو تعليما اوليا . وعلى فرض انه فعل فان نفقات تربيتهم لاتكون حملا ينوء منه

هنا يخطر ببالك ان نتساءل فاذن اين ينفق ايراده هذا . لانك مهما قلبت الامور لاتجد مبررا للشكوى. فمثلا لاتكاد تجد اثراً للقمار فى القرى وعلى فرض انه يتعاطى المغيبات أو الخمور فان ذلك لايكلفه الا بضع قروش لاتتعدى العشرة

كل يوم . وكذلك وسائل الدعارة غير متيسرة .ولو وجدت فان عواطفه المتحجرة لا تدفعه للاندفاع فى الانفاق على هـذا الباب

في اعتقادى ان هناك سببان اساسيان لهذه المحنة .الاول حب الظهور والثانى الطمع فانك لو انتبهت لحاله قليلا لوجدته بلا عمل يقضى طول يومه فى التحدث مع امثاله من الكسالى فى امور لا فائدة فيها فى حين انه يشجع الفقراء على التحكك به والعيش على حسابه فيكون له بطانة يسميها « رجاله » ليشتد بهم ازره على زعمه فتجد عنده خادمين أو ثلاثة ومثلهم من الخادمات فى حين أن عائلته الخاصة لا تحتاج الا إلى خادم وخادمه . صحيح أنه لا يعطيهم مرتبات تذكر ولكنه يطعمهم ور بما يكسيهم ايضاً هم واولادهم. اضف إلى هؤلاء من له بهم صلة نسب فهو يأويهم عنده حفظاً لاسمه فيتكلمون عليه ولا يحاولون اكتساب طعامهم بالسعى. حقيقة ربما يتظاهر بعضهم بالاشتراك فى ادارة المزرعة ولكن لا يفكر احدهم فى العمل جديا لسد مسد عامل يكلف المالك بضع قروش كل يوم بالاقل بل ينحصر جهدهم في الاشراف على العمال ولاجل ان لا يحيد هؤلاء عن الطريق السوى يزوجهم وهكذا يضيف إلى عائلته جماعة أخرى ويجتهد أن يعقد لهم على من هن دون من عقد هو عليها حتى لا يكونون ارفع منه قدرا وا كثر غنى فيظل وحده زعيم العائلة ورجلها الاوحد

أما هو فيعقد من الزواج صفقات يظنها لصالحه وذلك اما طمعا فى بضع قراريط تملكها المرأة ـ لان الريفيين يوزعون أغلب ما يملكونه على أولادهم الذكور خوفا من أن يرثهم رجال غرباء عن طريق الوارثات ـ أوطمعا فى تعزيز مركزه الادبى بمصاهرة عائلة معلومة ففى منزله تجد عائلته وعائلات أقاربه و أتباعه

والفلاح المصرى مزواج مطلاق على غير قاعدة فانك لا تجد أثرا للغرام الدافع الى الزواج الا فى النادر جدا فاذن يكاد يكون الدافع له هو تكوين صلة عائلية يحاول مدها قدر الامكان ليعيش حسب اعتقاده « عزيز الجانب » فى قرينه وبما أن المرأة ليست فى نظره الا ضرورة وقتية فهو يتنقل من

واحدة لاخرى حسب اهوائه واطماعه. وهذا ما يحدو بالمرأة الى العمل على تعجيزه بكل ما فى وسعها من الحيل حتى لا ينبذها لاجل غيرها فتتعمد الاسراف أكثر مما هى مسرفة بطبيعة جهلها وعادة الوسط حتى لا تبقى له مالا للزواج

واذا ما تزوج ينفق دون حساب حبا فى الظهور. وكذلك قل إنه يفعل لمناسبات السرور كالختان أو فى حوادث الموت وليس أسرع منه فى تزويج أبنائه قبل أن يصبح في ميسور الواحد منهم أن يربح ما يحتاج الى انفاق على نفسه خاصة

ومع اتباعه لكل ما سبق لا ينفق الفلاح دخله ولا يضطر الى رهن أو بيع ما يملكه لانه لا يبتهم الا المحاصيل الثانوية ويؤثر بعض التأثير فقط فى المحاصيل الرئيسية أما سبب الخراب فهو الطمع فانه بدلا من أن يقتصر على ما لديه من الارض فيحسن استعماله يندفع بامل الاثراء السريع وحب الفخفخة الى التعاقد على صفقات كثيراً ما يورطه فيها رغبته فى معاندة خصم والنكاية به. فاذا كان يمتلك مالا زاحم غيره على شراء عدة فدادين بالتقسيط. وقد يقترض برهن ما يملكه من الارض لدفعه قسطا من ثمن الارض الجديدة والا فهو يزاحم رفقاءه فى استئجار ما هو معروض ويدفع أى ثمن يعجز الخصم عن دفعه. كل هذا وهو متيقن أن رجاله من اتباع وأقارب يكفون لاستثمار أضعاف هذه المساحة وهو الامر الواقع لو كانوا فقط يعملون ولا يقتدون به مهملين

فالفلاح لا يفكر فى الغد حتى ولا ينظر تحت قدميه وهو جاهل يسهل اغواؤه بالفاظ منمقة، يستدين ليس رغبة في الاستدانة بل متورطا حتى كادت الاستدانة تصبح من طبيعته وقد اختبرت بذاتى أنه يندفع لاخذ ما ليس له حاجة لا بشيء الا لانه سيدفع الثمن في المستقبل يوم يكون لديه عشرات أو مئات من الجنيهات. وليته يصفى حسابه عندئذ فهو بالعكس يؤجل

التسديد بربى فاحش . ويحرضه المرابى على ذلك لان المرابى لا بدله من استثمار رأس ماله ليعيش هو أيضا وهو يريد أن يمتلك كل شيء

هذا نموذج لحال الفلاح يصح تطبيقه لى من يمتلك بضع قراريط وعلى من يمتلك العشرات من الافدنة او المئات أيضا

ولننتقل الآن الى الموطن المتحضر . فنجده اشد اندفاعا من الآخر خصوصا وان ساكن المدن لديه من الكمبيالات اكثر مما يحيط بالقروى وما عليك الادرس حالة طلبة المدارس ومقدار الاسراف الذى يتبعونه والمظهر الكاذب الذى يحاولون التأثير على غيرهم به بالرغم من فقر آبائهم

حالة الموظفين ونفقاتهم الغير معقولة في المحال العمومية وبؤس داخليتهم فالواحد منهم ينفق ايراده وما يستدينه لاجل المظهر

حالة الاعتاديين الذين ياكلون من اموال اقربائهم ويتسولون منهم لكي يظهروا على حد تعبيرهم بالمظهر الذى لايليق بمقامهم ومقام العائلة

وانى اكتب هذا فى عاصمة احدى المديريات وقد كنت جالسا فى مشرب اللوكاندة التى انا نازل فيها وبقربى صديق من البندر اخذ يعرفنى دخيلة كتبة ادارات الحكومة وكم ياخذ كل منهم مرتبا شهريا بالتقريب وهم يسرعون قاصدين قضاء الليلة فى دار لهو مقابلة للمكان الذى نحن فيه جالسان

حدث عن اصحاب هذه الاوراق ذات الخمسة جنيهات — هكذا اسميتهم لان متوسط مرتب كل منهم فى الشهر لايزيد كثيرا عن قيمة هذه الورقة — ولاحرج ولكن لاتتطلع الى وجوههم الهزيلة التى فعل الجوع وسوء الغذاء مع السهر والسم الزعاف الذى يتهافتون عليه فيها فعله المريع لئلا ينقبض قلبك

ولم اتمالك من الاقتداء بهم فدخلت نسيج العنكب اليونانى وهناك شاهدت ذوات الجنيهات الخمسة ومجاميع الاعيان والاغنياء ملتفين كالجهالة حول مسطح خشبى وامام كل منهم كاسا من المدام وهم لاهون عنه لانصرافهم بكليتهم متتبعين حركات بطيئة لهيكل حيوان ضعيف هزيل تحكم من ثيابه ان امرأة رأسها يتحرك تارة وحدها واخرى معتمدة على قطعة عظم لونها ازرق . قال لى صديقى انها يد

وتتبع تلك الحركات التى تكاد تكون زحفا زفرات اوانات قيل لى انها اناشيد
وبعد ما احتسيت قهوتى طالبنى الخواجه بثمنها ثلاثة قروش وهذا لان المطربة
الرشيقة تشتغل الليلة وبالسؤال علمت ان الوسكي بالماء يكلف ستة قروش
وبالصورة تسعه

حدثتك عن اختبارى من درس ذوات الخمس جنيهات واظن في ذلك
الكفاية ولا داعى الى بسط حال ذوات العشرة وذوات الخمسين. لا ن الصورة طبق
الاصل ولكنها مكبرة

وقبل ان اختم هذه الكلمات اريد ان الفت انظارك ياقارئى عساك تبحث
لذاتك عن مقدار الدين المستحق للخياط ولكوستا ولصانع الاحذية وتساءل بعد
ذلك الى حيث يأتى هذا المخلوق بجسده كي ينال حقه الطبيعى من الراحة لتعرف
كيف يقوم مبكرا نشطا لاداء واجباته المكتبية. وبالله ماذا تنتظر من امرأة هذا
الحيوان ان تفعل بل ماذا تظن بامكانه ان يؤدى من الاعمال والسهر قد اجهد
فكره بينا مطالب المدينين تتمثل امامه كل دقيقة

الم يحن لهذا البلد ان تنظم فيه التربية الاستقلالية بعد . ليس هناك طريق
للاستقلال الا منها

الجد العاثر

— ماهذه العواطف المتحجرة ؟ .. اليس لك قلب ؟ ! ...

— قلت لك مراراً ياصديقي . انى لااشعر من نحوك الا شعور صداقة ...

— ياللسماء ! كان على الله ان يخلقك رجلا وليس امرأة ؛ فقد غلط غلطاً لايغبط عليه ، واثار بى حفيظتى من هفوته هذه ...

— هاها ! فما هذه الفلسفة العقيمة ؟ انتم معشر الرجال تدلون براهين مزخرفة لنيل مآربكم ، انا لااشعر بعاطفة حب ، ولن يخفق قلبى لهذه العاطفة نية ، ولا أرى مايسوغنى لأن احب ...

— ياللأبالسة ! ان قلبك لأشد قسوة من قلب الرجل ، وان الرجل ليلين قلبه . وترق عواطفه . حين دخول الحب اليه . او حين يشعر به لاول وهلة . فكيف بك . وانت فتاة ، والجنس اللطيف مشهور برقته ودقة حسه ؟ ! ... ثم ان تجردك عن مزايا الانوثة المحبوبة وقساوة قلبك الآن ، لايمنعانك عن الوقوع فى الحب يوماً ما

— لست انا بحاجة إلى الحب ياارمان ...

— كلاريس ! احبك ! ... اعبدك ! ... فما هذه القساوة ! ... بادلينى الحب ! .. اكذبى على ! ...

— لست انا بحاجة لحبك ...—

ولما رأى ارمان قساوتها ! وانها لاتبادله عاطفته ، تركها يائساً ، والدموع تتناثر على خديه ، ثم التفت اليها :

— الوداع ! ...

سنبقى صديقين ياارمان ، إلى الملتقى

— الوداع ! ...

ارمان كاتب رقيق ، محبوب من قرائه . ولكنه كان فى أول عهده بالكتابة، ولذا لم ينل شهرة واسعة

احب كلاريس من ثلاث سنوات ، حب صداقة ؛ ثم تحول حبه إلى حب جنسي ولكن كلاريس ، تعتبر حبه لها بمثابة صداقة ، ولا تعترف بغيرها . وطالما يبثها غرامه ، فتجيبه بانهما صديقان ، وهي لم تفكر يوماً ، ان صداقتهما هذه تتحول إلى حب ، وانها تهزأ منه كلما بثها هواه ، وتسخر من الحب والمحبين ! . . . .

∴

دخل ارمان فى طور جديد فى حياته الادبية ، فقد غدا كاتباً كبيراً ، وروائياً شهيراً ، تتسابق الصحف والمجلات لنشر كتاباته، وتتنافس شركات النشر لشراء رواياته ، كما انه لم يحرم من تمثيلها في اكبر مسارح لندن ، حتى أصبح يشار اليه بالبنان ، ونال ثروة كبيرة من مؤلفاته الكثيرة ، التي يتحف بها الادب والتمثيل كل حين وكان ذلك بعد مضى خمس سنوات على فراق كلاريس ، ولكن جذوة حبه لم تخمد من فؤاده بعد ، فقد كتب مأسات (تراجيدى) اودع بها قصة غرامه، وافرغ بها جميع عواطفه ، وحبه ، ودموعه ، حتى غدت خير مؤلفاته ، ورائعة من روائع الفن

∴

مرت كلاريس فى احد الايام في احد شوارع لندن . فقرأت اعلانا بحروف ضخمة

الجد العاثر

تراجيدى ، ذات ثلاث فصول كبرى . وهي رائعة :

الكاتب العظيم : المستر ارمان

ـ ارمان ! . . .

رددت كلاريس هذا الاسم . وهى تائهة ، فشعرت بعاطفة الحنين ، والذكرى للفتى الصديق . الذى قضت فى صداقته مدة طويلة . ثم صممت على حضور الرواية حضرت الرواية مساء ، وهي ترجو ان ترى صديقها القديم بعد فراق خمس

سنوات . وقد بلغت الآن السادسة والعشرين ، وهو الثلاثين

احتلت شرفتها ، واجالت طرفها ، في الشرفات ، علها تجده ، ولكن لم يصدق ظنها

قرب موعد ابتداء التمثيل ، فماهذا الخفقان الذي في قلبها !

وما عساه ان يكون !

قد يحضر الآن ، ولكن مالقلبها يخفق ؟

وما علاقة ذلك بقدومه ؟ ورؤيته ؟

وقبل رفع الستار بدقائق ، دوى تصفيق حاد ، وهتاف :

— المؤلف ! . . المؤلف ! . . .

فاضطربت كلاريس ، ونظرت الى حيث اتجهت الابصار فرأت ارمان مع بعض اصحابه في مقصورة بقرب مقصورتها ، فجرى الدم في عروقها . وزاد خفقان فؤادها . فهتفت :

— بالله ! مادهاني !. . .

رفع الستار وابتدأ التمثيل ، عن رواية مفجعة . تمثل ارق العواطف ، وادق الشعور . ففكرت كلاريس ، ان هذه الرواية تشبه حادثة تعرفها . وتشبهها بعض الشبه . ثم ادركت انها قصة ارمان معها ، فكادت تصرخ من وقع حوادث الرواية في نفسها ، وكانت لاتحول بصرها عن ارمان ، الا لمشاهدة التمثيل وهي تسمع كل حين تصفيق الاستحسان من النظارة ، حتى اتى الفصل الثاني وهي في اشد شوق لمعرفة النهاية ، وكيف عسى ختمها ارمان ، لانها لم تجر معها بعد ، وقد تجري في المستقبل . من يدري !

ثم رأت الممثل الذي يمثل دور ارمان جاثيا عند قدمي الممثلة التي تمثل دورها :

— ارمان ماهذه العواطف المتحجرة ؟ اليس لك قلب ؟

كلاريس — قلت لك مرارا ياصديقي اني لااشعر من نحوك الا شعور صداقة

ارمان — ان تجردك عن مزايا الانوثة المحبوبة ، وقساوة قلبك الآن ، لا

يمنعانك عن الوقوع فى الحب يوما ما

كلاريس — لست انا بحاجة الى الحب ياارمان

ارمان — كلاريس ! احبك ! . . اعبدك ! . . فما هذه القساوة ! . . يادليني الحب ! . . اكذبى على ! . .

كلاريس — لست انا بحاجة لحبك . . .

ثم يتركها يائسة . وهو يبكى ، ويقول بصوت حزين .

— الوداع ! . . .

وينزل الستار

لاتكاد كلاريس ترى هذا المشهد . حتى تصيح صيحة خافتة ......

وتغطى وجهها بيديها ، ثم تلتفت الى ارمان . فتراه يحدق بها برفق وقساوة ودهشة . اذ سمع صيحتها ، ورآها لاول مرة . على هذه الحال وعلم تأثير الرواية الخنيث فيها ، واما هى ، فاشاحت بوجهها عنه خجلا ، لقساوتها الماضية معه

يرتفع الستار فتمر مشاهد أمامها لا تحفل بها . الى أن يمر المشهد الاخير ، فترى ارمان وكلاريس . بعدمضى خمس سنوات :

أرمان جالسا يقرأ فى صحيفة ، وكلاريس تنظر اليه بحزن و توسل ، وهو لا يزال يقرأ ، فتهتف كلاريس :

ـ أرمان صديقى القديم ! اذكر كلاريس الفتاة القاسية القلب . . . .

واما أرمان ، فلا يجيبها . ولا ينظر اليها . ويستمر يقرأ . فتقترب منه كلاريس . وقد بللت الدموع يديها ، مادة يديها تتوسل بصوت مضطرب :

ـ أرمان أحبك ! ... أعبدك ! ...

يجيبها أرمان بتكلف وجفاء ، دون أن ينظر اليها :

ـ لست أنا بحاجة الى حبك ....

ويذهب من أمامها ، فترتمى كلاريس على مقعد باكية يائسة وينزل الستار

***

لا يكاد ينزل الستار حتى يسمع صرخة وجسم يهوى على الارض فيسرع ارمان لمقصورة كلاريس. فيجدها فاقدة صوابها من تأثير تلك الصدمة العنيفة، فيهمس في أذنها :

ـ كلاريس

وبعد لأى تفتح عينيها، وتنظراليه ثم تطبقهما. وهى تتنهد، فيناديها :

ـ كلاريس

فتفتح عينيها ثانية، فيجدهما أرمان، مغرورقتين بالدموع، وبعد ان تتفرس فيه برهة، تهمس با كية :

ـ ارمان ! . . . أحقا أنت فاعل ذلك ؟ !

كان ارمان مصمما أن يقابل كلاريس، فيما لو جاءته يوما تبثه غرامها كما ختم الرواية تماماً ولكن عند رؤيته اياها بهذه الحالة المحزنة، وأنها تحبه حقاً رق قلبه لها، ورجعت هزة الحب اليه، وذكرى ايامهما السالفة، فيجيبها :

ـ وما يهمك من كل ذلك ؟

ـ ارمان : ماذا تقول !

ـ قلت انك لا تشعرين بعاطفة حب، ولا يخفق قلبك له، ولا ترين ما يسوقك لحبى، فما شأنك بختام الرواية اذن ؟

فنظرت اليه بتوسل وتقول با كية، وهى لا تزال بين ذراعيه :

ـ آه يا أرمان لو تعلم يا صديقى

ـ ماذا لو أعلم يا قاسية ؟

ـ . . . كم أنا نادمة لقسوتى الماضية معك، فان قولك لى :

« إن تجردك عن مزايا الانوثة المحبوبة، وقساوة قلبك الآن . لا يمنعانك عن الوقوع في الحب يوما ما »

ان قولك هذا، ما فتىء يرن فى أذنى كل هذه المدة الطويلة، وكم كنت أشعر من الحنين اليك حين أقرأ رواياتك

ثم قربت وجهها لوجهه، وحدقت بعينيه برغبة حارة قوية، فشعر ارمان

بخفقان قلبها ، و دموعها المحرقة وأنفاسها الحارة تلهب خديه ، ثم تضغط على يديه ثم قالت بدعة وهوادة وتوسل :

ـ ارمان ! حبيبي ... أنا في حاجة لحبك ! أحبك !.. اما جدت على ؟ هلا سامحتني ، ونسيت ختام الر واية يا حبيبي ؟ ! ...

فيضمها لصدره بشغف ، ورفق ، مرتشفا شفتيها ، باسما قائلا.

ـ سأحاول ان انساها

بيروت

منير الحسامي



نظرات

فى الحياة العامة

عن لورد ادوارد غراى

بدأ المحاضر بذكر اشتراكه في الحياة السياسية سنة ١٨٨٤ ثم استطرد إلى مقارنة الحالة اذ ذاك بما هى عليه اليوم . وانتهى إلى القول بانها كانت اذ ذاك أبسط مما عليه الآن وانه فى ذلك الوقت كادت كل هموم رجال السياسة تنحصر فى توسيع حق التصويت في المقاطعات ، أى استكمال تأسيس الحكومة على الأسس النيابية أو التمثيلية . وكان من المفروض أن تأسيس الحكومة على هذا النظام يستتبعه علاج كل نقص تشعر به البلاد من جراء حكمها حسب النظم التى هي اقل تمثيلا للشعب بيد انه لم يلبث ان اتضح لنا أن كل النقائص التى يمكن ان تنسب حقا للنظم الحكومية السابقة للنظام النيابى التام المكتمل الجوانب لا تلتئم تماما مع النقائص التى ظن انها راجعة إلى هذه النظم

بيد ان هذه المساوىء الناشئة عن النظم السابقة قد ازالتها الحكومة النيابية التى اصبحت اكثر ديموقراطية مما كانت عليه ، ومع ذلك ظلت هناك اسباب أخرى ظن فى أول الامر انها وليدة النظم السابقة وظهر على وجه التحقيق انها راجعة لمسببات أخرى . وفي ذلك الوقت لم يرتب اى إنسان أن الحكومة النيابية الديموقراطية هى خير الحكومات وانها تقوم بحاجات المجتمع بقدر ماتستطيع أن تضطلع بها اية حكومة . بيد انه لامناص من التساؤل عن مركزنا الحالى . اذفى مستهل معالجتى للشئون العامة بدأ عهد تأسيس الحكومة على النظم النيابية الديموقراطية دوره الثانى . وقد عبسنا للعهد الذى رأينا فيه الحكومة الديموقراطية توضع تحت التجربة ويوازن بين محاسنها ومساوئها على نمط لم نعهده حين اشتركنا

فى تأسيسها . وفى بعض البلاد لم تعد الحكومة الديموقراطية تعتبر مثلا اعلى. ولا اعتبر ماحصل فى روسيا مثلا لذلك

إن روسيا لم تمتع يوما ما بالنظام النيابى ولذلك فالنظام الذى لم يعمل به مطلقا ولم يجرب فى روسيا لايمكن ان يقال ان من شأنه ان يحل نظاما مكان هذا النظام أو أن هذا النظام قد عاد بالفشل في روسيا الا أن ماحصل أخيراً في ايطاليا لذى دلالة خاصة أذ كان لها حكومة ديموقراطية ؛ وقد حل محلها نظام لم يكن من المفروض أن ينشأ دون تعضيد الرأى العام وهذا النظام ليس مؤسساً على الانتخاب البرلمانى بل على القوة المنظمة . وعلى العموم نرى فى وقتنا الحاضر على الاقل ان نظام الحكم الذى اعتبرناه المثل الاعلى فى بلادنا قد اوقف العمل به فى ايطاليا، ومن المحتمل ان نراه كذلك ينهار فى بعض البلاد الأخرى ولو إلى حين و يحل محله نظام آخر وذلك تحت ضغط الفوضى والاضطراب الذين يسودان او روبا الآن .

اصبح الكثيرون يرتابون في صلاحية النظم الديموقراطية النيابية مما لم نعهد له مثيلا من قبل الا أنى شخصياً مازلت ادين بهذه المبادىء كما كنت فى أى فترة من حياتى ولست فى معرض تعداد المحاسن والمزايا العظيمة التى نلناها من الحكم النيابى الديموقراطى مما يعد نجاحا عظيما لهذا النظام اذا قيس بالنظم السابقة — من اتساع التعليم وانتشاره إلى رفع مستوى الحياة على الوجه العام وتطبيق العدالة على الجميع دون محاباة بيد أن الكثيرين يحكمون على النظم الديموقراطية لاحسب مستوى النظم التى سبقتها بل طبق مايجب الوصول اليه على حد تصورهم ومن المستطاع المناقشة فى ان بعض المزايا التى نلناها من الحكم النيابى اخيراً قد كان فى الامكان نوالها تحت أى نظام آخر .

الا أن هناك شىء واحد أعتقد أن لانزاع فيه وهو اننا نتمتع فى عصر الحكومة الديموقراطية النيابية باكبر قسط من الحرية الشخصية الفردية مما لم تمنله أية دولة وقد كنت مستمعاً لمحادثة جرت بين شخصين من اولى العقل الراجح والبصيرة النافذة من الامريكيين يقارنون فيها الحياة العامة في امريكا بمثيلتها

فى انـكلترا فقال احدهم « انه مما استحسنه فى الولايات المتحدة هو انعدام كل شعور طائفى . ففى انجلترا تقاليد قديمة بين الطبقات وفوارق تدعو إلى التحفظ والتحجز بينها وفوق ذلك فهناك شعور طائفى عظيم ولو انه قل كثيراً عن ذى قبل ففى امريكا فوارق فى الثروة . بيد أنه ليس هناك مايستتبع ذلك من الاحساس الطائفى المؤسس على هذه الفوارق بقدر مافي انـكلترا فالجميع يجتمعون على قدم المساواة و يتحادثون بصراحة ودون تحجز أو تحفظ او ارتباك ناشىء عن فوارق طائفية وهذا من أمتع ما تصل اليه الحياة الحرة

(وان خبرتى الشخصية اثناء رحلتى القصيرة في امريكا اشعرتنى بذلك شعوراً صادقاً)

فرد عليه الاخر قائلا « انت محق فى ذلك الا انه فى امريكا تتداخل السلطة التنفيذية اكثر مما في انـكلترا فى الحرية الشخصية والامريكيون هنا اكثر تسامحا ازاء هذا التدخل (الا أنه لا يمكننى ان أصرح برأى فى هذا الموضوع) » هذه المحادثة امتعتنى وحفزتنى للتفكير إلام ترجع حريتنا الشخصية فى هذه البلاد وما هو الضمان الرئيسى؟ و يلوح لى أن الضمان الحيوى لها هو أنه ليس الأمر قاصراً على حكومة منتخبة بالتصويت الشعبى بل تعتمد، من يوم لآخر مادام البرلمان في دورته، على ثقة ممثلى الشعب . فلو حصل هنا مايعتبر تدخلا لا مبرر له فى حرية الافراد من أية طبقة كانوا او وقع ماينافى احساسنا بالانصاف وشعورنا بالعدالة فعلى الحكومة احقاق الحق ورد المظالم وإلا فلا بقاء لها بعد ذلك وانى اعتبر الضمان الرئيسى لحريتنا الشخصية هو مسؤولية الحكومة اليومية مادام البرلمان منعقداً أمام ممثل الشعب المنتخبين ولا اقدر ان اتصور نظام آخر للحكم لا تدخل معه فى حرية الافراد الشخصية كهذا النظام الذى نعيش الآن فى ظلاله ومن الممكن المناقشة جدلا انه من المحتمل أن ننال بعض المزايا من نظاماً حكومى آخر . بيد انى موقن ان الثمن الذى نبذله منا هو الخضوع للتدخل فى حريتنا الفردية اكثر مما نعهده فى نظامنا الحالى . وانا لنحرص على هذا الكنز التالد من حرياتنا الشخصية حتى أنه مهما كانت النقائص اللاصقة بالنظام الحالى فانى افضل المساوىء

الحالية على غيرها فى أى نظام آخر من شأنه ان يفرض علينا قيوداً جديدة شديدة تكبل حريتنا الشخصية بقيود من حديد

ولذا فانى الخص المساوىء لا لأبين ان الحكومة الديموقراطية النيابية نظام يمكن احلال نظام آخر محله او ايقافه مع فائدة تعود من جراء ذلك على المجتمع بل لابحث فى خير الطرق لتدعيم هذا النظام وتحسينه ومما يجب الحذر منه في الحكومات الديموقراطية النيابية هو الاتكال على النظريات والتعميمات التى قد تكون غير مؤسسة على المقدمات الصحيحة فليس هناك من نظرية أخاذة اجلب للاغتباط من « حكومة الشعب بالشعب وللشعب » فقد كان لهذه العبارة رنة فخمة فى الخطاب العظيم الذى القاه ابراهام لنكولن . بيد أنه ليس من الحكمة استخدام هذه العبارة جزافا وعن ثقة عمياء اذ نفترض ان الشعب يميل عن رغبة إلى الاضطلاع بمهام الحكم وله من الكفاية مايقدر به على تحمل اعبائها

فان لم تتوفر فيهم هذه الرغبة ولا الكفاية اللازمة للقيام بهذه المهام فالنظرية السالفة الذكر تكون صحيحة . و بنفس الطريقة نعتبر العبارة العامة « حكومة الرأى العام » كنظرية . فالرأى العام هو المحكمة العليا التى طالما سمعت قادة المعارضة فى مجلس العموم يهددون به الحكومات — انها لنظرية بديعة حقا بيد انها تفترض ان هناك رأيا عاما وليس ذلك فحسب بل ان هناك رأيا عاما ناضجا مكونا مستعدا للحكم في اى مسألة خاصة واصدار قرار له فيها وتفترض هذه النظرية فوق ذلك ان السياسى المتفوق فى الحكومة الديموقراطية لهو الرأى العام في حين ان كثيراً من مساوىء هذا النظام راجع إلى الحقيقة التى لاشك فيها وهى أن الرأى العام ليس بالضرورة سياسى وليس بالسياسى العظيم البتة

وسأضرب لذلك مثلا بتاريخ ارلندا اثناء عدد من السنين وعلاقتنا بها فلم يكن هناك رأى عام عن ارلندا طوال السنين ولم يكن هناك من يهتم بارلندا او على علم بشؤونها وليس ذلك من حسن السياسة فى شىء وكان ذلك مصدر كثير من مساوىء الحكم الانجليزى فى ارلندا وما لبث ان اعتنق احد الاحزاب الانجليزية الكبيرة مبدأ الحكم الذاتى لارلندا (الهوم رول) فبعث ذلك في

الرأى العام اهتماما حقيقيا بشؤون ارلندا . الا أن انقسامه بلغ مبلغاً لم يستطع معه اتباع أية سياسة ثابتة . واصرح بالقول أن المؤرخين في المستقبل سوف يعيبون السياسة الانكليزية فى معالجتها شؤون ارلندا وسوف يعيبون ساستنا . غير ان العيب الحقيقى لاصق بالرأى العام وسيعتقد الهوم رولى انه لو كانت هناك اغلبية عظيمة من الرأى العام فى جانب مشروع المستر غلادستون سنة ١٨٨٦ لفاز هذا المشروع ولحلت المشاكل الارلندية . ومن جهة أخرى فانصار الاتحاد مع انجلترا سيرون دائما انه لو ناصر الرأى العام سياسة سالسبورى و بالفور فى الاغضاء عن مشروع الهوم رول لحلت المسألة الارلندية بهذا الشكل . ويمكننى أن اتصور الآن ماذا كان يرد كل من غلادستون وسالسبورى وهو أن كليهما كان يعتقد صحة سياسته الارلندية بيد أن لم تتح لاى منهما من الظروف المساعدة ما كان يمكنهما من تنفيذ سياسته فربما كان هذا على حق وكان ذاك مخطئاً الا أن انقسام الرأى العام لم يمكن أى من السياستين من قسط كاف من النجاح وهذا معناه أن ليس للرأى العام كفاية سياسية ولو أن سياسة ثابتة محدودة قد اتبعت بالفعل ازاء ارلندا. الا انى ارى أن الرأى العام سلم بهذه السياسة في آخر الأمر تسليما ورضخ لها ولم يكن ذلك منه تقريراً ايجابيا . ولست هنا فى معرض النقد لها الا انى مازلت اعتقد أن الرأى العام ارتضى هذا الحل وسلم به لاعن عقيدة في صوابه من الوجهة السياسية وتوفيقه بعد امعان النظر فيه وتدبره بل عن الرضاء السلبى الناشىء عن مجرد الكلل والسآمة والاعياء ومتى كان الامر كذلك ساقنا ذلك إلى التفكير في أن الحكومات الديموقراطية النيابية بحاجة ماسة إلى السياسة العملية والقيادة الرشيدة وان الاساس المأمون الوحيد الذى ترتكز عليه هذه السياسة هو أن الرأى العام يجب أن تسوده الروح السياسية العملية .

وهذا يحدو بنا الى التفكير فى ناحية أخرى وهو ان كبريات المسائل السياسية التى كانت مبعث التفرقة بين الاحزاب بين ١٨٨٥ ، ١٩١٤ كانت التوسع فى اعطاء حق التصويت حتى يشمل المقاطعات ومسألة الحكم الذاتى (الهوم رول) لارلندا وحماية التجارة وهذه مسائل سياسية بحتة اى انه من الممكن انفاذها بقانون يوافق

عليه البرلمان . وكان ذلك الطريق الوحيد. وهذا مما جعل الامر هينا يسيرا بين الاحزاب السياسية الا اننا نتساءل الآن ما هي اهم المسائل السياسية الداخلية في شئوننا العامة فى الوقت الحاضر

— ارى ان ذلك ينحصر فى العلاقات بين الرأسماليه والعمل — اى بين العمال واصحاب رءوس الاموال وهذا يفوق من حيث الاهمية كل المسائل الداخلية . وهنا نتساءل الى اى حد تذهب علاقة هذه المسألة بالسياسة ، بمعنى انه يمكن حلها بين الاحزاب فى مجلس العموم . فاذا سلمنا بانها تحل بالقضاء على المشاريع الفرديه وجعل الصناعات الرئيسية ملكا للدولة فتلك مسألة سياسية يحلها البرلمان بيد انى اعلم علم اليقين ان اغلبية الناس لم تقتنع للآن بان جعل الصناعات ملكا للدولة يؤدي الى تحسن الاحوال مع يقينهم ان العلاقات بين الرأسمالية والعمل ليست مرضية ومع اقتناعهم ان ثمه تغيير يجب ان يحدث فهم يتطلعون اليه من نواح أخرى — فما هى هذه النواحى ياترى؟ — كنت مكبا على قراءة كتاب ذات يوم كتب عن علم ودرايه لمفكر يسعى باخلاص لان يكون منزها عن الغرض والتحيز في موضوع اهم ماتبغيه اكثرية جماعات العمال المنظمة وماهى اولى المسائل التى تشغل بال الطبقات العاملة في الوقت الحاضر وسأسرد هذه المسائل بالترتيب الذى اورده الكاتب حسب مساسها بمصالح العمال ورفاهيتهم

واولى هذه المسائل هى تأمينهم ضد البطالة وليس ذلك قاصر على معالجة البطالة الحالية بل تأمينهم من شر غائلتها فى المستقبل وقد استنتج الكاتب من محادثته للعمال انهم لو امنوا ان شبح البطالة لن يدوم طويلا وسيكون مؤقتا لاعتبروا ذلك من اعظم الخيرات التى ينتظرون نوالها وانى اعتقد ان خير الطرق لمعالجة ذلك والوصول الى خير النتائج باقل ما يمكن من التبذير في الجهود والوسائل مع تحاشى مايمكن ان يؤول الى سوء استعمال السلطة لهو التأمين الحقيقى ضد البطالة فى الصناعات الرئيسية .ولست بحاجة الى مناقشة الفوائد التى تعود من ذلك فانى ارى انه مادام الامر كذلك فيجب ان يتضافر على هذا الحل العمال واصحاب

رءوس الاموال بالتضامن الوثيق. وثانى الاشياء التى اوردها المؤلف مركز العمال. فهم مستاؤون اذ لا نصيب لهم في الاعمال الكبيرة ولا فى ادارتها وسياسة شئونها وفضلا عن ذلك فيحزنهم احساسهم ان كل التدابير التى من شأنها المساس بمعيشتهم اليومية والتى تتخذ لادارة هذه الاعمال تراعى فيها راحة صاحب المال دون اعتبار الطرف الآخر وهم العمال الذين لا يعطون اى نصيب فى تدبير الامور اى ان العمال يستهجنون ان لا يزيد اعتبارهم على انهم اجزاء في آلة العمل بل يجب أن ينظر اليهم كعنصر يجب استشارته فيما يتعلق بادارة هذه الآلة . ان هذا امر ليس من الهين معالجته ولست اعتقد ان فى مقدور البرلمان حله على الوجه المرضى وليست اهميته ذلك بخافيه بيد انه من الميسور ومن اللازم علاج ذلك بحسن الارادة بين الطرفين وبالروح السياسية العملية بين العمال واصحاب الاعمال بالمفاوضة المباشرة دون وساطة البرلمان .

وثالث تلك المسائل مسألة الاجور وتنحصر في انه يجب أن يحصل العمال على أكبر نصيب ممكن من أرباح الصناعة وهذا أيضا من المسائل التى اعتقد ان في مقدور الدولة حله بل يجب ان يتعاون فى ذلك العمال واصحاب العمال أى بواسطة الهيئات الكبيرة المنظمة من اصحاب الاعمال ومثيلاتها عند العمال بالتشاور والمفاوضة بينهم وهذه المسائل ذات الاهمية الحيوية مما يتطلب التدبير السياسى العملى كما لو كانت تعالج داخل البرلمان مع ذلك الفارق وهو أن التدبير السياسى المطلوب والكياسة العملية مطلوبان من أولى الشأن الذين يجتمعون ويتشاورون فيما بينهم لحل هذه المسائل وفى النظام الديموقراطى أكثر من أى نظام آخر يتطلب تصريف الامور وحسن التدبير السياسى ولكى تنجح النظم الديموقراطية فى معالجة المسائل الكثيرة التى لا يمكن تصريفها على الوجه الاكمل بواسطة ممثلى الامة فى البرلمان يجب على الذين يهمهم الامر دون غيرهم إستخدام هذه الكفاية السياسية العملية فى معالجة مسائلهم مباشرة واذا وصلنا الى هذه النقطة وهى أن حاجة الرأى العام لسياسة عملية رشيدة أمس وأبعد مدى مما عليه الآن فلنتسائل ماترى يكون علاج ذلك؟ وانى اعتقد ان الجواب الحقيقى على ذلك هو (التعليم) ولا نقصد

بذلك التعليم الابتدائى ولا الثانوى بل تعليم الراشدين وهو التعليم الذى يغذى به الشعب نفسه بعد حصوله على خير التعليم فى مرحلتيه الابتدائية والثانوية وبعبارة أخرى هو جعل التعليم العالى (تعليم الجامعات) في متناول الحاصلين على التعليم الثانوى ممن يمارسون مختلف المهن والذين اختطوا لأنفسهم سبل الحياة المتشعبة . وانى أرى أن هناك اقبالا هائلا على هذا الصنف من التعليم وأن الشعب متعطش اليه بقدر لم نره قبل الآن ومتى كان الامر كذلك يجب أن نقوم بهذا المطلب وهو من الممكن تحقيقه وفوق ذلك فللتعليم العالى (التعليم الجامعى) مزية يمتاز بها على كل من التعليمين الابتدائى والثانوى فى أن تكاليف نشره و تيسيره لافراد الشعب أقل بكثير منها لان الأمر لا يتطلب مبالغ عظيمة ترصد فى بداية الامر على أبنية جديدة للمدارس والانفاق عليها وصيانتها مما يتطلبه الامر فى التعليمين الابتدائى والثانوى وقد قيل لى أن نصف مليون من الجنيهات سنويا تخطو بنا خطوات عظيمة لسد حاجة أفراد الشعب النفسية الذين يدركون بحق أن التعليم الذى يمتزج بنفسى الرجل او المرأة حتى يصبح جزءا منها هو التعليم الذى يسعون اليه ويطلبونه بوازع من أنفسهم في سن رشدهم وان مبلغ النصف مليون الذى ذكرناه سالفا ليحقق لنا غرضا من أسمى أغراض الوطن . وهناك ينبوع آخر للتعليم وهو مصدر هام الا وهو الصحافة (وهنا أشار اللوردغراى الى أن ضعف البصر الذى انتابه اخيرا حدا به الى الاقلال من مطالعة الصحف بيد أن مايتيسر له الاطلاع عليه منها يمكنه من الحصول على معلومات جليلة عن الصحافة) وهناك مقالات افتتاحية كتبت عن علم ودراية وتفكير وقوة اقناع بصرف النظر عن اتفاق وجهة نظرها أو اختلافى ، ولو حان لك ان تتناول الصحافة باى نقد فاظن أن ماترد به عليك هو أن المسيطرين عليها يرقبون انتشار صحفهم وللشعب أن يختار نوع الصحافة الذى يستحقه وهذا هو شان الشعب ونفسه

وكما اسلفت فقد دلتنى خبرتى على أنه فى مقدورك أن تحصل على تعاليم قيم من الصحف وعلى الشعب نفسه يقع عبء اختيار الصحف التى يطالعها أنا كانت

والمصدر الثالث لتعليم الشعب هو الساسة أنفسهم ولا أتسامح حيث يسئ هؤلاء استعمال نفوذهم وأعود فأكرر أن للشعب الساسة الذين يستحقهم وان فى يده العلاج وهناك ميل مفرط فى التحدث الى الشعب دون ثمة ضرورة أو جدوى بدل التطلع الى سمو الشعب الى مستوى أعلى (ومثل ذلك النشرات التى تصدر في الاجتماعات السياسية) وقد اطلعت على نشرات سياسية (ولا أذكر مصدرها الحزبى) يلوح أنها كتبت على افتراض أن متوسط الناخبين متصف بالطفولة والجهل المطبق والانانية المفرطة وعقيدتى أن النشرات أو الخطب السياسة التى تحط من قدر المستوى العقلى او الخلقى للشعب لهى قول هراء فلا تنفذ الى قلب الديموقراطية ولا تلبي دعوة تلبية حقه الا اذا اتجهت إلى غرائز المجتمع ومشاعره العليا لا السفلى منها

ومما اقنعنى بصحة ذلك المحادثات التى كان من حسن حظى التمتع بها أثناء الحرب مع المرحوم المستر بيدج الذى كان سفير اميركا في بلادنا وقد بدأنا الآن نشعر بالدين العظيم الذى تدين به بلادنا له ولست هنا في معرض تعداد الخدمات الجليلة التى أدها لنا ولبلاده واستعراض صفاته السامية بيد أنى انبئك بصفتين ساميتين زادنا فى قدر اعجابى به واحترامى له أكثر من أى شخص آخر وهاتان الصفتان ذاتا مساس بالموضوع الذى نعالجه الآن احداهما شعوره العميق بالعدالة ضد الظلم وقد شعر بها أن هناك مسألة ذات مساس بالناحية الخلقية فما تردد لحظة من ذلك الوقت فى أن يزن الموضوع كله بميزان العدالة بحيث كان هذا الاعتبار هو الفيصل الذى يصدر الحكم الأخير فى الموضوع وبذا زاد اقناعه وتحمسه ونشاطه في الدفاع عن هذا الامر . والناحية الأخرى من خلقه أنه متى اقتنع بصحة الموضوع أهاب بالديموقراطية العظيمة التى يمثلها عالما علم اليقين أنها تلبى دعوته متى كانت الدعوة صادرة عن عقيدة قوية في مسائل حيوية

واذا لم تلب الديموقراطية دعوة حقة لم يكن رأيه أن الدعوة فوق مستوى عقل الشعب بل أنها لم تتصل بعاطفة سامية عميقة تحركها والا للبى الشعب الدعوة لامحالة . ولم يصادفنى طول حياتى رجلا كالمستر فيدج بعث في نفسى عقيدة ان

ايمانه بالشعب قوى مخلص لايتزعزع .وقد كان اكثر الناس ايمانا بالديموقراطية وما أشرت إلى هاتين الصفتين الا لابين أنه في مقدور السياسيين أن يركنوا اليهما اكثر مما هم عليه الآن و يعملون على غرس هذه الصفات و بثها

وخلاصة القول هو مالاحظته أن من اخطار الديموقراطية الكبرى قلة الاهتمام وعدم الاكتراث وثبات الرأى العام أى عدم وجوده وليس من اصلاح يرجى الا ان نبين له أن هناك شئونا خلقية في خطر يهددها ومتى أبنت له عن ذلك ايقظت الرأى العام والخطر الاخر هو النشاط العظيم من جانب شطر من الرأى العام .وهذا النشاط موجه لدعاية خاطئة طائشة يعوزها السداد والرشد وترتكز على فرض معرفتها كل شيء. بيد أن الحقيقة أنها لاتدرى الا القدر القليل واكبر مصلح لذلك هو التعليم وخاصة تعليم الراشدين

وهناك عامل في انعاش الرأى العام وبعث الحياة فيه وايقاظ همم الديمقراطية واهتمامها بالصالح العام وهو توفر الشخصيات البارزة فى الحياة العامة وليس بكاف أن تكون هناك آراء ومعارف ومبادىء فقط بل يجب أن يكون هناك شخصيات قوية حية وأن تاريخ كل الديانات لتفسير ما أرمى اليه فالمبادىء الخلقية كانت دائما راننا نشعر بوجوده وبكيانه أجيالا مختلفة بيد أنه يظهر دائما فى عصور معينة عظيمة من تاريخ البشر شخصية عظيمة تتجسم فيها هذه المبادىء العظيمة فتصير حيوية وتحرك جماهير من البشر بطريقة لم تعهدها هذه من قبل . ولست بمفكر فى المسيحية وحدها بل فى كل الحركات الدينية ـ كالاسلام والبوذية والكونفوشيوسية . فان وراء هذه الحركات العظيمة فى تاريخ الانسانية شخيات عظيمة

لذا نحن فى حاجة ماسة فى ادارة شئوننا العامة الى الشخصيات البارزة التى فيها تتجسم كبار المبادىء السامية فى حين أن هناك الخطر الحقيقى و هو أن الديموقراطية قد تخطىء فى اعتبار هبة الخطابة بين الجماهير فوق شأنها الحقيقى فالرجل العام يصير جذابا بما خص به من فصاحة ولباقة فى التحدث الى الجماهير ونحن نميل الى رفع شأن الناس فوق قدرهم الحقيقى عن اعجاب بخطاباتهم الرنانة. فسبك العبارة متى

طرأت آذاننا تشعرنا أن وراءها لا محالة علما فياضا وثبات مبدأ وغرض خلقي سام . وبالاختصار كل الصفات الجليلة التى نطلب الى الرجل الحقيقى أن يتحلى بها ولكن لا يستتبع أن يكون الرجل فصيحا لبقا متكلما حتى يكون حائزاً هذه الصفات .وأحيانا نرى أنه فى الديموقراطيات تتغلب صفة الفصاحة والبلاغة وتسود سائر الصفات وانه من المحتمل أن يغرر بها فى هذا السبيل

ونخطىء فى اقدار الرجال فنزن صغار الرجال بميزان كبارهم ونتخطى الجليل من الرجال ممن لم يوهبوا لباقة قول وفصاحة لسان ولست من الذين يرون أن هذا الخطر على القدر الذى قد نتوهمه واذا لم تخنى الذاكرة فقد كان ورد سورث صاحب القول المأثور أثر سماع بعض كبار الخطباء فى البرلمان حوالى أخريات سنى القرن الثامن عشر. وهو أنه خرج بعد سماعه «برك» و رأسه ملييء بالقول ومن سماعه «فوكس» وشعوره ملهب مثار . ومن سماعه «بت» وهو معجب من قدرته على اظهار الباطل يتغلب على الحق

بيد أن هناك من الرجال من يتحلى بصفات أجل من هبة الفصاحة والبلاغة فقد كان المرحوم المستر بيرت خطيباً مفوهاً من الطراز الاول بيد انه كان هناك غيره من المبرزين فى الخطابة وكان منهم من هو أكثر مقدرة على نوال تصفيق الجماهير الا أنه لم يبلغ أحدهم مبلغ نفوذه فى الرأى العام وذلك راجع الى أن تفوق المستر برت لم يكن ناشئاً عن هبة الفصاحة (وقد فوقه فيها الغير) بقدر اخلاصه وخلقه المتين وواسع معارفه وبعد مطارح فكره مما غذى خطاباته وأكسبها قوة و قيمة .

ولذا فاني في آخر الامر موقن أنه وان كان من الضرورى توفر قدر من الفصاحة والبلاغة لخوض غمار الحياة العامة فالرجل ذو الخلق القويم الواسع الاحاطة بمسائل البشر سوف يتغلب فى آخر الأمر على المتكلم المفوه مهما كان مبرزاً في هذا الميدان مع نقص فى الخلق أو فى المقدرة على التفكير والادراك

وهناك أمر آخر جدير بالاعتبار بجانب تأثير الرجل العاملين في ميدان الشئون العامة في الحياة وهو تأثير الحياة العامة فيهم . فمثلا متى بدأنا في

تحضير خطابه قد لا تفكر الا فى ماهية موضوعنا وقيمته بيد أنه قبل القاء خطابنا لا بد أن يكون قد اندس فيه اعتبارات أخر تحدونا الى الرغبة فى أن نحوز اعجاب الغير وأن ننجح فيما ندعو اليه ومن المعقول والعدل أن نحب أن يحوى كل خطاب بعض هذه العناصر ويروى عن الاستاذ جويث (الفيلسوف الافلاطونى الشهير (ولا أدرى ان كان ما يروى حقا أو باطلا) أنه أسدى نصيحة الى انسان أن يجب عليه أثناء كتابته أن يقرأ ما يخطه بعناية ويحذف كل ما يحلو له وتظهر عليه مسحة الطلاوة فاذا طبقت ذلك على الخطابة العامة فلن تجد ضميعا . واذكر قصة فكاهية يرويها المستر برنارد شو عن رجل كان سياسا حاذقا ولكن لم يضرب في الخطابة بسهم . فقد كان يستعيض عن نقصه فى مثوى الخطابة بمهارته الفائقة في لعب الكونسرتينا (آلة موسيقية يدوية ذات منفاخ) ولكي يجمع الجمهور حوله فى منعطفات الازقة كان يلعب الكونسرتينا ومتى بدأ في الخطابة تناقص عدد سامعيه فلجأ الى موسيقاه فتتجمع الكافة من جديد

وبهذه الحيلة كان يعالج اقناع سامعيه بدعايته وحججه وانه من المشروع بل من الضرورى مع بعضنا أن يتخلل بعض خطاباتنا شىء من لعب الكونسرتينا اذا أسعدنا الحظ بمعرفة العزف على هذه الآلة .

أما من ناحية الاغراض العامة فأرى أن ثلاثة منها تؤيد المرشح للبرلمان أولها الرغبة فى خدمة مصالح بلاده وثانيها الرغبة في خدمة مصالح حزبه معتقدا أن ذلك أكثر الاغراض العملية تحقيقا للغرض السالف. وثالثا الرغبة فى النجاح الشخصى الذى قد يكون وازعا مشروعا بل صالحا لا تشوبه شائبة متى كان في حدود معينة اذ أن الرغبة فى النجاح مع الرجل العادى (ولست أقصد النادر بين الرجال من ذوى المثل العليا) تسهل عليه مهمته كثيراً وتحدوه الى الاكثار من المجهود والاستفادة منه . بيد أن هذه الرغبة لها أخطارها اذ أن الغالب فى آخر الامر أن لآراء الانسان فى الحيا العامة لن يقررها صالح بلاده ، بل تستتبع رغبته فى النجاح الشخصى الذى يعتبر فى البداية وازعا صالحا ومنشطا للهمم

في حين أنه ليس اسمى الأغراض ويجب أن لا يكون الاعتبار الغالب السائد على غيره من الاعتبارات

وهناك قانون يختص بالعملة النقدية وهو أنه لو القيت العملتين الصالحة والفاسدة فى سوق التعامل تغلبت الاولى على الثانية تغلبا تطرد به الاخرى وتميل البواعث السفلى الى التغلب على البواعث العليا فى خلق الانسان

ان الصيحة المثلى التى تسدى للشاب وهو فى مقتبل الحياة العامة ان يراقب البواعث التى تدفعه للعمل وأن تكون هذه الرقابة دائمة دقيقة ولو عرفت كل الاسرار المتعلقة بالحياة العامة لوجدنا فى سجل أعمال الرجال الذين عالجوا الشئون العامة كثيرين ممن بدؤا حياتهم مدفوعين بعوامل سامية ثم اختتمت حياتهم والدوافع التى تحفزهم للعمل ضئيلة وأكرر القول أنه يجب أن يكون الانسان أمينا ومخلصا نحو الدوافع التى تحدوه للتفكير والعمل وهذا فى رأيى من أهم القواعد التى يجب أن يسير عليها المرأ فى ممارسته للشئون العامة وبالحرى في كل شئون حياته ونظمها ومنهاجها

ويروى أنه كان قديما فى بلاد اليونان سبعة حكماء عرفوا بسداد الرأى والهدى وكان المأثور عن أحدهم قوله (اعرف نفسك)

وقد كنت أرى أنه نال شهرته بثمن بخس بيد أنى الآن موقن أن هناك عدد عديد وحجافل من الناس لا يدرون شيئاً عن أنفسهم واعلم علم اليقين عن خبرة وتجربة شخصيته أنه من أصعب الصفات على المرء أن يعرف نفسه وكلما ازددنا معرفة باشخاصنا وكلما ازددنا جدارة لمعالجة الشئون العامة . وكلما كانت الدوافع سامية ولها المكان الارفع فى أنفسنا وتغلبت على كل وازع آخر . ازددنا ثباتاً بحيث لا يزحزحنا عن عقيدتنا افراط المدح أو افراط الذم من الغير مما يتعرض له كل من عالج الشئون العامة وكلما ازداد هؤلاء الرجال معرفة بأنفسهم كلما قل احتمال اكتئابهم وخور عزيمتهم تحت ضغط الافراط فى الذم أو طيرانهم جذلا اذا كال لهم الغير المديح جذافا

وهناك قصة فى سردها نفع لكل من يتصدى للشئون العامة فقد كان فى الازمان

الغابرة أن أمر أحد سلاطين عثمان الصدر الاعظم أن يحفر على خاتم ذو قيمة كبيرة عند السلطان شعاراً يشد أزره وقت الشدة و يخفف من غلوائه وقت الرخاء. وبالطبع كان من الضرورى أن تقتضب هذه العبارة مع ادائها للغرضين . غير أن الوزير كان ماهراً فنصح السلطان أن يأمر بأن تحفر العبارة الآتية على الخاتم وهى (وذلك أيضاً مصيره الزوال) وليس القصد من ذلك أن موقفنا قاصر على الانتظار والتمهل حتى يزول كل شيء، بل معناه أننا مادمنا واثقين من مبادئنا ودوفعنا للعمل يجب أن نعمل على انجاحها ولا يجب أن نبتئس وتخور عزيمتنا متى وجدنا الاشياء والامور لاتسير كما نشتهى وهذه الوجهة من التفسير التى يتضمنها هذا الشعار هي ما نشير به خاصة فى الوقت الذى فيه لا تسير الاشياء حقا حسب مرامنا ويجب أن يشجعنا ذلك على الثبات والمثابرة في السبيل الذى نخطه لأنفسنا مقتنعين بصحته. وفي الوقت الحاضر حيث تبدو أشياء كثيرة سائرة على غير هدى ولو أنه ليس فى مقدورنا أن نصلحها كلها فى وقت واحد ونسدد خطاها . الا أنه متى اعتزمت البلاد على نصرة المبادىء التى تراها حقة عادلة واذا عبرت عن مشيئتها بلا لبس أو موار بة، فهناك شعوب أخرى قد تنضم تحت علم هذه المبادىء فتعتنقها وتشد أزرها

ومن المسائل الاساسية عند غالبية الناس أن يفحصوا من آن لآخر الدوافع التى تحفزهم للعمل. وهناك القليل الشاذ ممن ليس لهم كبير حاجة ماسة لذلك الامتحان. وهؤلاء ممن تآلفت الامزجة النفسية والفعلية عندهم واعتدلت اعتدالا موفقا فعند هؤلاء تظل الدوافع خالصة لاتشوبها الاثرة ولا الاغراض دون مجهود محسوس .ولا أرى مثالا انصع طهرا وأنقى اخلاصا ووازعا أرقى مما الذى ضرب لنا الا يرل غراى وهو الذى القى هذه المحاضرة احياء لذكراه فلم يكن مجرداً من الاغتباط الحقيقى بحسن سمعته وشيوع محبة الناس له ولم يكن عاريا من شعور حق ونخار محمود بقيمة المراكز العامة السامية الا أنه لم يبدأ يعالج شأناعاما الا تملكته الحماسة لبلوغ المثل الاعلى بحيث لم يكن ليقيم لأى اعتبار وزنا سوى مايتعلق ببلوغه الغرض الأسمى غير مبال بما يكلفه ذلك أو بما قد يعود على سمعته الشخصية

من أثر .ومن النادر أن تجد هذه الصفة متوافرة في رجل عام يمثل هذا القدر العظيم ، فقد كنت أختلف معه كثيراً على المسائل العامة وأصرح بأن بعض ماقلته لم يكن ليوافق عليه اذ لايتأتى لك أن تجد رجالا مسلطين مفكرين قادرين يتفقون جميعاً في كل نتائج تفكيرهم . وليس هناك من مقدمة أجدى لهذه المحاضرات من التفكير في حياته على أساس الدوافع التي حفزته للعمل . فقد كان دائم الاهتمام بالشئون العامة متحمسا للقيام بأعبائها بعيداً عن الاثرة . وكان اهتمامه ممزوجا بحرارة اليقين خالصا لوجه العقيدة بعيداً عن الجمود والتعصب وقد قال عنه أحد عارفيه أنه أوقد نار الحماسة في اشد المواطن برودة وجموداً وهذا طراز من النفوس السامية التي نحن فى عوز دائم لها في رجالنا العموميين وهذه النفس هى التى تجعل لهذه المحاضرات أثراً جديراً بها. وبهذه الروح حاولت أن أخطب فيكم اليوم لالتلقينكم شيئاً جديداً بل لنفكر معاً أين نحن الآن فى وقتنا الحاضر وكيف نعالج بعض نقائص العصر الحاضر وما هى الروح التى نواجه بها المسائل الهامة

وكلمتى الاخيرة أنه فى الازمنة العصيبة التى نجتازها يجب ان نتدبر باقصى مانستطيع من الحكمة والاناة فى هذه المسائل الشائكة التى تواجهنا فى داخل بلادنا أو فى الخارج نابذين الاوهام الفردية والوساوس ،ساعين بكل ما نملك من جهد في معالجتها بقدر قيمتها وخطرها غير متبعين الاستنتاجات العامة التى قد تنزلق اليها عقول الكافة ولا نشعر انها صائبة سديدة بل يجب علينا أن لانجبن عن اعتناق كل مانعتقد عدالته ورشاده باذلين خير جهودنا لنقوم بقسطنا من تكوين رأى عام سوف يكون يقظا مسددا حيا مشبعا بالروح السياسية العملية

دكتاتورية الاقزام

في المثيولوجيا

مترجمة بتصرف عن الكاتب مازاريون الفرنسوي

في آخر الاولمبياذة .... بعد المائة ، على حسب التقويم الاغريقي القديم ، كان فى مدينة آثينا عاصمة بلاد اليونان القديمة قوم من الاقزام نشؤوا كما تنشأ الكمأة في رطوبة الليل و بليل هوائه ، ولم يفطن اليهم أحد من أهل آثينا ولا من حكامها أهل السطوة والجاه ، حتى كثر عددهم الى درجة تخيلوا معها أن من مستطاعهم أن يحكموا بلاد أغريق القديمة وأن ينكثوا فتل نظاماتها العريقة فى الديمقراطية وأن يقيموا على أنقاض ما يهدمون دكتاتورية مطلقة الحكم يدعونها دكتاتورية الاقزام

واجتمع الاقزام في ندوتهم العامة يتشاورون و يسرون نجواهم لعلهم يستطيعون أن يمهدوا السبيل ليصلوا الى غرضهم الاخير وهو تكوين حكومة استبدادية على انقاض الحكومة الديمقراطية القديمة التى وضع قواعدها الفيلسوف افلاطون فى جمهوريته وشرع لها سولون وعمل على تنميتها بركليز الكبير . وكيف يستطيع هؤلاء الاقزام أن يهدموا ما أقامه عظماء اليونان وفلاسفتهم وأن يقوضوا أساس ذلك البناء المشمخر ليفوزوا بتكوين دكتاتوريتهم ؟ وكيف يستطيعون أن يقضوا على الصورة القديمة التى جرى عليها أهل يونان العتيقة فى حكم أنفسهم بانفسهم ، والتى نشأت مع نشأتهم الاولى اذ كانوا قبائل رحل حتى ابتنوا المدن ونقلوا معهم الى أسوار هذه المدن المشيدة جرثومة الحرية التى متعوا بها في حياتهم الاولى ؟

ولم يكن من بد لتقوم دكتاتورية الاقزام على أساس ثابت أن يكون لهم قوة يستعينون بها على مغالبة أهل الاغريق ، يعززون بها أقليتهم الصغيرة ،

ويضربون بها على أيدى الذين يحاولون أن يعتمدوا على دكتاتورية . الاقزام اذا ما أعلن الاقزام دكتاتوريتهم

خيل للاقزام أن أهل يونان قد غرتهم المطامع وأعمتهم الاغراض وأفسدت حكومتهم فاسد النزعات التى يبثها الطمع الاجتماعى فى صدور الناس ؛ وان أهل العقل من رجال آثينا قد أنزوا فى جنبات المدارس والاكاذيميات ؛ يشتغلون بالفلسفة والعلم ؛ وان كانوا ينقمون على شكل الحكومة ؛ فذلك لان تسمم الجو بريح الاكثرية لم يفسح لهم مجال التعبير عن آرائهم القيمة فى ما يقوم حولهم من حالات الاجتماع الاغريقى . لهذا وجب ان يقوم الاقزام بحركة انقلابية يفسحون بها لذوى العقول أن يعبروا عن آرائهم فى جو بعيد عن تسلط الاكثرية الفاسدة النزعات المنحطة المدارك

ولكن كيف السبيل الى السلطة ؟ وكيف السبيل الى القوة ؟ وهم أقزام لا يستطيعون أن يدعوا الشعب الى الاخذ بناصرهم وأن يكون عوناً على تكوين حكومتهم الاستبدادية ؟

لجؤوا اضطراراً الى أحد آلهتهم وكان يسمى « قيفاوس » وابتهلوا اليه أن يمد اليهم يد المساعدة . وأن يأخذ بناصرهم فيما يحاولون من اصلاح لاهل إغريق القديمة. وكان قيفاوس بطبعه ميالا للسلطة محباً للاستبداد ،فاخذ بناصرهم على ان يكون مرجع دكتاتوريتهم منه واليه ؛ وأن لا يبرموا أمراً أو يقضوا فى شيء ؛ قبل أن يعرفوا أين تتجه ارادته ، وفى أى طريق تتمشى نزعاته . ولم يكن للاقزام الا أن يقبلوا أن تكون الدكتاتورية لهم اسما ، ولقيفاوس فعلا

ولما أن تم الاتفاق بين قيفاوس وقومه ، وهم فى رأس جبل بعيد عن جلبة الحياة الاغريقية ؛ أعلن الاقزام تلك الدكتاتورية التى اخضعت أهل الاغريق لسلطتها المطلقة زوراً ووهما . وبينما كان الاقزام يتشاورون فيما يفعلون باهل الاغريق وما يشترعون لهم من قوانين ؛علت جلبة من ناحية السهل ؛ واذا بجيش آثينا الذى كان يحارب اكزرسيس عائداً الى بلاده يحمل ثمرات الفخر والانتصار وفى مقدمته رهط من الفرسان على ظهور جيادهم المطهمة ؛ قد دهم الاقزام ففراهم

بالسنابك وفر قيفاوس الى اوليمبه الصغير ، ومر جيش آثينا من غير أن يدرك للاقزام وجوداً ولا شعر لهم بحياة

وهكذا تكونت لأول مرة فى التاريخ القديم دكتاتورية تحت ستار الليل ، وتحت ستار الليل حطمتها أقدام آثينا . نعم تكونت دكتاتورية ، ولكنها كانت دكتاتورية الاقزام

مترجمة طبق الاصل جبريل مازارين

الثقافة والاخلاق

من خطاب للمستر اسكويث القاه فى جامعة ابردين بمناسبة انتخابه عميدا لها ـ وقد توفى حديثا بعد ان حاز لقب لورد ، وهو من اكبر رجال السياسة الانجليز الذين عاشوا فى العصر الحاضر

أشار المحاضر فى مستهل خطابه الى تاريخ الوظيفة السامية التى انتخب لها ، وذكر ارتباط تاريخها بالزمن الذى كانت تسيطر فيه الكنيسة والامبراطورية الرومانية ، ولو نظرياً ، على مصائر العالم الغربى الروحية والزمنية ، وان ثلاثاً من كليات اسكتلندا الاربع يرجع تاريخ انشائها الى ارادة بابوية ، وقد أسست أحدثها وهى جامعة ابردين سنة ١٤٩٤ بارادة من البابا اسكندر السادس . وكان تأسيسها آخر فضل لبابوات روما على التعليم فى الجزر البريطانية ، اذ بعد ذلك بنصف قرن سرى تيار الحركتين المتفجرتين، وهما حركتا إحياءالعلوم والاصلاح الدينى اللتان قضتا على وحدة اوروبا الروحية والكنسية في انجلترا واسكوتلندا . ولا يغيب عن البال ان العلم فيهما مدين للعظماء من رجال الكنيسة في القرون الوسطى ، وان مؤسس جامعة ابردين الحقيقى هو الاسقف الفنستون .ثم أتى بنبذة من تاريخ التعليم العالى فى غربى اوروبا وخاصة فى انجلترا فقال

لما نفكر في سبل انتشار التعليم المنظم فى غرب اوروبا وفي بريطانيا العظمى على الوجه الاخص ندهش من الحقيقة التى تبدو لنا فى أول وهلة وهو أن التعليم العالى نشأ فى البداية . فقد كان منشأ التعليم النظامى في الجامعات ثم أسست في انجلترا المدارس العالية التى تؤهل الطلاب للجامعات وهى ما يسمى المدارس العام (Puplic schools) ومدارس الآداب وهى وسط بين الأخيرة والجامعات وهى ما تطلق عليه اسم (Grammer School) ثم مدارس القرى ، ولا يجب أن تسوقنا ظواهر الامور الى استنتاجات خاطئة . فلم تكن الجامعه في القرون الوسطى معهداً خاصاً للخاصة تقفل أبوابه دون الكافة بل بالعكس — كما أبنت منذ بضع سنين حين كنت اخاطب زملاءكم الذين انتخبونى لمثل هذه الوظيفة فى

جلاسجو — فان طلاب جامعات القرون الوسطى سواء أ كانت جامعات باريس، أو بولونيا (فى ايطاليا) أو اكسفورد كانوا خليطاً من كل الاجناس والطبقات. وفى بعض المظاهر — كما فى نظام العمدية، حيث ينتخب الطلبة عميدهم — كانت ديموقراطية الصبغة، وكان يؤمها الطلبة من كافة الطبقات وعلى الاخص أبناء الطبقات الوضيعة المعسرة وكان التعليم الجامعى، اذ ذاك هو التمهيد الذى لا بد منه لممارسة المهن العامة كالقانون وعلوم الطب واللاهوت، هذا ما عدا القليل ممن يسعون لتحصيل العلم للعلم ذاته ،وهم في كل مواطن العلم و بيئاته أقلية داخل أقلية

ومرت الدهور وطغى تيار حركة أحياء العلوم على عصر الفروسية فتبين القوم أن الصفات الذهنية التى نسميها الآن الثقافة (بمدلولها المدرسى اذ ذاك) هى العدة الواجبة والحلية التى لا بد منها لكل انسان مهذب (جنتلمان)

وقد كان سير هذه الحركة أبطأ حقاً فى هذه الجزر مما كان عليه فى بقية اوروبا ،فقد نبذ بزور هذا الغرس كل من مور وكولت ولينا كر ومعلمهم وصديقهم ايراسموس الذى لم يؤت ثمره الا حين تبوأت على عرش انجلترا اليصابات العظيمة ومضى على ذلك عشرون سنة. فقد برزت هذه الملكة تعلما وتهذيباً كل الرءوس المتوجة فكانت تتقن على الاقل خمس لغات أجنبية الفرنسية والالمانية والايطالية عدا اليونانية واللاتين. ومع ما بلغه التعليم النسائى في زماننا، فهل هو يدلنا على مثل أظهر وأسمى من مظهر هذه الملكة لاقتران العلم بالكفاية

ثم اعتبرت الثقافة كما أسلفت شطراً من العدة الاجتماعية والشخصية لاولاد الطبقة العليا والموسرين كلآداب العامة وحسن الهندام وبازدياد سبل التخصص كانت السبيل المطروقة للبروز فى المهن اللاهوتية والمهن التى تتطلب سعة فى العلم

بيد أن الفكرة الحديثة وهي أن التعليم للرجل العادى هو جزء من ميراثه الطبيعى وشرط أساسى لكى يكون نافعاً لقومه وعنصر يمكن أن يمتزج دون أى

خطر بالعمل اليـدوى الرتيب ومبـاهج الاعمال المنزلية العادية . هذه الفكرة لم تكن لتعتبر الا كتناقض خطير

ومنذ قرن من الزمن صرح أحد أعلام كنيسة هذه البلاد ان لا شأن لاى شعب بقوانين بلاده الا أن يطيعها. وبهذه الروح ومن وجهة هذه النظرية كان يتوقع من جمهور الكافة أن يتركوا الآداب الراقية الى من هم أرقى منهم فى السلم الاجتماعى في حين أن انتشار التنوير الفكرى وايقاظ الاحساس بالشعور الاجتماعى وواجب الفرد نحو الجماعة وهذه نحو الفرد ، ثم قيام الديموقراطية ، كل ذلك أدى دون عنف وبرضى الجماعة، الى التحول الذى فاق في ثورته كل تحول آخر وهو النظام القومى للتعليم الاجبارى الحر وقد حقق القول التهكمى الشهير المأثور عن المستر « لو » وهو أنه يجب علينا أن نبدأ « بتعليم سادتنا » فى ميدان العمل . وقد أصبح الكل يسلم بان المثل الاعلى على كل حال — ولو أن هناك استثناءات تعترض السير العملى على الوجـه الاكمل — هو أنه لن يبدأ طفل فى معاركة الدهر ما لم نعدله عدته من مفاتيح العلوم ، وانه لن تحول عوائق الظروف أو الحظ المادى دون تقدم أى طفل وهبتـه الطبيعة الذكاء والطموح في ميادين العلم في أى مرحلة من مراحله حتى يصل الى السبل الداخلية فى قصر المعرفة المنيف

ولست هنا فى معرض الاسهاب ـ كما كنت اود في مزايا ونقائص (اذ لابد ان يكون بجانب المزايا نقائص) التعليم العام . اذ الانسب عرض بعض آراء عامة ولو انها غير محبوكة الاطراف على المساوىء التى تبدو في زماننا هذا . واذكر قبل كل شيء الميل المتزايد نحو التخصص. وقد اصبح من مميزات التعليم الجامعى خلال نصف القرن الاخير فقد اصبح اكثر شيوعا ان يوقف الطالب وقته وجهوده كلها او اكثرها على تحصيل فرع او مجموعة من العلوم ويقنع من البقية باقل مايتفق تحصيله ومطالب التعليم العالى وهذا راجع أكثره لازدياد الدقة والتبحر فى تحصيل كل علم وتدريسه ولا تساع ميدان البحث في مختلف العلوم النظرى منها والتجريبى ولسمو مستوى المعارف الذى وصلنا اليه بحق — كل

ذلك يدعو الى الاغتباط الصحيح مادام يحدوا بنا الى ازدياد التعمق فى العلوم ودقة البحث والابتعاد عما هو سطحى لايقنع به الا الهواة بيد ان هذه المزايا تكون قدحصلنا عليها بثمن فاحش لو ضحينا فى سبيلها سعة الافق العلمى وتوجيه الاهتمام الى دائرة المعارف العامة . فادعاء المعرفة الواسعة على كل حال اقل اذى من التخصص الضيق وحصر همومنا العقلية في افق غير رحب . وان الجامعة التى تحصر جهودها وتقنع بان تقوم بمهمة معمل لتخريج الاخصائيين فحسب . قد غاب عنها وفاتها تحقيق واجب من اسمى وظائفها الاضطلاع به ولايتاح إلا لمدع دجال ان يتخذ كل ميدان المعرفة دائرة لبحثه ودرسه ولو بعث فرنسيس بيكون (وهو من اسمى البشر ذكاء وادراكا) لوجد ان مطامحه العلميه الشاملة ، ومداركه التى وسعت دائرة كل علم يستحيل تحقيقها فى ظروف الحياة الحديثة على ابعد الاحلام مدى. وان الرجل المهذب الذى هو ثمرة غرسكم يجب ان يكون على حد قول بيكون «رجلا كاملا» وقد وصف فكتور هوجو العبقرية بلغته الرائعة الفخمة . كالصخرة الممتدة نحو اللانهاية فهى تسمو على كل قاعدة وتتلاشى امامها كل اعتبار يتعلق بالبيئة والوارثة بيد انه اذا تركنا العبقرية جانبا فالمثل الاعلى القديم للتعليم الجامعى وهو تخريج الرجل الكامل ولا نقتصد به الرجل الشقشاق ذو اللياقة السطحية الجوفاء ممن يلمون بشيء عن كل شيء وبالكثير عما هو لاشيء ، بل الرجل الذى لم يضح من اجل هم قاهر وفكرة تملكته . ومطمح ارض له كل سعيه ، حماسته لتذوق شتى العلوم وتوسيع مداركه العقلية والتطلع للالمام بالمعارف العامة وسعيه الحثيث نحو معرفة خير ماأخرجته الاقلام وثمار الافهام للناس حق المعرفة ممازادنا معرفته وزاد فى حياتنا قيمة ونفاسة

وفوق ذلك لو سلمنا انه لاستكمال الثقافة الذهنية وحيويتها لابد من سعة في الادراك ، فمما لايقل عن ذلك شأناً ، حقيقية أنه يجب أن يتوفر في مظهرها الخارجي وفى نمط التعبير عنها ، صفات هى الدقة والتناسب والتآلف . تلك الصفات جماعها ما ننعته « بالاسلوب » فى كل المنتجات الفنية تتوفر ثلاثة عوامل — الموضوع والشكل الذى نعرض به هذا الموضوع والاداة التى ننقل بها مايعن لنا عرضه . وفي كل من فنون التصوير والنحت والعمارة والموسيقى تتحكم الاداة الخاصة

بالتعبير فى اختيار الموضوع وتحد منه ؛ . ومتى توفر لدينا موضوع مناسب واداة صالحة فقوة الفنان على الخلق والتصوير هى التى تميز قيمة ماينتجه . وفي هذا ينحصر مقياس العبقرية — ومتى كنا في معرض التكلم عن الفن فهذه حقائق قد تبدو ظاهرة جلية مبتذلة . ومن المستغرب حقا قلة عناية المستعملين تعليما عاليا من القوم بالقالب والاسلوب فى ايراد الحقائق العادية فى كتابتهم وكلامهم .

وان كثيراً من اللغو والكلام المفكك الذى نجبر على قراءته كل يوم اوالانصات اليه لهو وليد التقاعدوالتكالم وعدم السدا د فى الرأى . فاذا استغرق انسان بما هو ساعة فى بسط مايمكن أن يؤتى خيرامنه فى عشرين دقيقة ، بما يماثله أو عندما يسود كاتب عشرين صحيفة بما يسهل ايراده في نصف ذلك ، فالذنب فى غالب الأمر ليس براجع إلى الزهو أو قلة المبالاة والعناية بشعور الغير ، بقدر ماهو وليد العجز او عدم الميل لكد الفكر للوصول إلى الاتقان . وكما أن العالم القليل التمييز يسارع إلى الخطأ في اعتبار قوة الالقاء ثباتاً فى الخلق ، كذلك يميل ميلا لايرده عنه شيء ولا تزحزح عقيدته فيه ، إلى تصور أنه لايكون الكاتب كاتباً ولا الخطيب مفوها مالم يركب مركب الشطط فى العبارة . وأرى . انه من أوجب واجبات الجامعة الحقة بث تقدير الاسلوب والعمل على غرس الاساليب الصحيحة . ولن أقول شيئاً عن الشعر الذى قد يعد بين الفنون بيد أن ليس هناك فن من فنون الكتابة او القول لانعثر له فى لغتنا على امثلة ونماذج ذات وفرة فى الغنى والتنوع وكل من تتوق نفسه الى اتقان اللغة وإجادة الكتابة والخطابة بها عليه بقراءة كبار المؤلفين وليس ذلك بقصد الاثراء في مادة اللغة نفسها فحسب. ولا لتقليد الطابع الخاص فى الكتابة او الاسلوب الفريد والنبرة العالية .

بل لدرس سر الموسيقى التى تسرى فى طيات كتاباتهم ولتفهم كيف ان اللغة اصبحت في ايديهم مرآة جلية ناصقة لافكارهم . واتقان العملية الدقيقة التى بها يصوغ هؤلاء الصواغ المهره الكلمات ويسبكون الجمل ومقاطع الكلام ودرسها عن كثب وعن فهم . ووضع كل من هذه في المكان اللائق لتقوم بوظيفتها فى بناء

هيكل خالد من القول الجزل

وفوق ذلك فليس بكاف ان تلقن الجامعه طلبتها ان تنبذ الجمود والتحرج وضيق افق المطالب العقلية والاهمال وعدم الرغبة في اتقان القول والكتابة ويجب ان تحذرهم من روح التعصب المذهبي

ولا يمكننا ان نقلل دون مذاهب وما هى الا التعبير المقرر الدقيق لما نعتقد صحته ولو انه احيانا يحد من استعمال مدلولها بحيث لا يشمل الا ميدان اللاهوت والزيادات (التي ينعتها البعض بالحواشي الطفيلية والبعض الآخر بالتفسيرات) التى وشى بها رجال المدرسة القديمة اللاهوتية ودكاترتها ثوب الانجيل البسيط الغير المزركش . الا ان للعلم والفلسفة مذاهبهما . واذا قيل ان مايميز « المذهب » عن المعتقدات الاخرى هو ان العقل يقبله لا عن ثقة آتية من طريق العقل بل من طريق السلطة او التحكم . فمثل هذا القول يطبق على بعض المقولات التى تكون اساس العقيدة اوالخلق العملى فى دائرة من دوائر التفكير او الحياة العمليه . بيد ان هناك فرق بين الرضى العقلى بمذهب أو سلسلة مذاهب وبين التفكير الذى تحركه الروح المذهبية ويؤثر عن نسج (الفيلسوف الالمانى) القول المتداول وهو ان لو خيره الخالق بين أن يهبه معرفة الحقيقة كلها او الوازع للبحث عنها لاشار بكل احترام إلى اختيار العرض الأخير كنعمة أثمن واقوم من الأولى وهذا حقا الاتجاه الذى يجب أن تكون غاية التعليم تيسير الوصول اليه وان سماحة العقل والكفاح هو ضد الاوهام الفاشية واخضاع شوكتها وجعل سبل الادراك حرة المسالك والسعى واجهاد النفس ليكون ميزان الحكم على الاشياء ميزان حق وعدل والترحيب بالحقائق الجديدة متى وثقنا بقيمتها واستحقت تقديرنا

رغم تقويضها لأسس العقائد القديمة المستأصلة فى نفوسنا — كل هذه الصفات ولو كانت مألوفة متداولة وقد يدل ظاهرها ان في مقدور كل انسان الوصول اليها والتحلى بها الا أن التجربة والخبرة اسفرتا عن انها فى نفس الانسان اندر صفاته .

وان المزاج الفكرى الذى احاول بيانه ليس بالعزلة الفكرية او عدم المبالاة

وليس هو شل قوة الحكم الذى قد ينتاب البعض في فترات فيقعدهم عن الاختيار بين القضايا الباطلة والقضايا الحقة بل يستلزم على النقيض من ذلك حياة فكرية نشيطة فتيه محصنة ضد مغالطات الاسواق والمتنديات العامة وهؤلاء السلبيين ساكنى الكهوف

حياة تحفزها الارادة نحو العقيدة والعمل تعيش تحت هواء العقل المنعش وفي ضوء الحقيقة الناصع

ونصيحة أخيرة أسديها كخريج جامعة قديمة لم تنسه حياة غير خالية من الكفاح والجلاد حياة انهماك فى الاعمال العامة مداومة الاتصال بروح جامعة اكسفورد والمثل العليا التى أخرجتها للناس وهى انه لكى نقطع المرحلة التى اختصتنا بها الاقدار طويلة كانت أو قصيرة بحكمة وسداد . وجب علينا أن لا نسرف في انفاقها بل نتدبر ونعتدل ونقتر وندخر ما لا سبيل لعودته وما هو الآن فى قبضة يد الجميع

وكلما كانت حياتكم حياة جد ونشاط كلما كان احتياجكم الى الاغتراف من هذا الخزان الذى يؤاتيكم عن طواعية

ولتحرصوا دائما مهما كان سبيلكم فى الحياة على أخير وأبقى هبة فى مقدور الجامعة أن تهبكم وهي صحبة الآراء السامية والهام المثل العليا ومثال الاعمال العظيمة وسلوى الفشل فى الوصول الى الاغراض الكبيرة

ومتى كانت هذه عدتكم كان فى مقدوركم أن تواجهوا صدمات الدهر وتقلبات الحظ دون تزعزع وكل ما تأتى به الايام من الالغاز وليس هناك اجدى لكم من اتخاذ الشعار المنقوش على أبواب جامعتكم « لقد قالوا — ما الذى يقولونه — دعهم يقولون— »

م . ر .

تأملات فى الأدب والحياة

يقول طاغور « عند حلول الكوارث تنحل أقدس الروابط . فالاخ يحطم أخاه والصديق يخون الصديق » . ولا أجد أن هذه الكلمة الكبيرة أكثر انطباقا على شيء من حالات هذه الدنيا أكثر من انطباقها على رجال السياسة . فهى فى مصر ظاهرة مألوفه .

حلت بمصر الكارثة الاخيرة . كارثة تعطيل الحياة النيابية ، ولا ندرى الى أى حد ، فان ذلك موكول بالظروف ، وليس خاضعاً لارادة رئيس الوزارة ولا بغيره من رجال الدولة ، كبر شأنه أم صغر . ولم تكد تظهر بوارد هذه الحالة فى الافق السياسى ، ولم يكد يفتح فى سماء الامل منفذ نور لاصحاب المعالى ، حتى ولجه جمع منهم — ثم أخذوا يسددون منه نبال النقمة والانتقام الى اقفية اخوانهم الذين تضامنوا معهم بالامس .

وليت الامر وقف عند هذا الحد . بل تعداه الى قواعد ومبادىء مقدسة لاعلاقة لها بأقفية الذين رموهم هؤلاء بنبالهم وسددوا اليهم سهامهم . ولكن ما دام النحاس رئيس الاغلبية ولا أغلبية الا بالدستور فلتوجه النبال اذن الى قلب الدستور كما توجه الى قفا النحاس وأصحابه . فاذا ساءلت نفسك أية علاقه بين الاكثرية وتصرفها وبين الدستور ، وما هى علاقة الانتقام من النحاس بقتل الدستور ، وما هى الرابطة بين ضرب الاغلبية وبين الحق العام الذى يملكه أصغر طفل فى أصغر قرية كما يملكه أكبر صاحب دولة من أصحاب دولاتنا ، لما استطعت أن تقع على جواب ظاهر اللهم الا أن تلجأ فى تفسير ذلك الى الاعتقاد باننا فى مصر بل وفى الشرق عموماً — لم نستطع أن نفرق بين المبادىء والذوات ، فالدستور ملعون لان صاحب الاغلبية فى مجلسيه هو النحاس . ولكن ماذا يكون من أمر الدستور اذا أصبح صاحب الاغلبية فى مجلسية هو صاحب الدولة محمد محمود ؟ لا جرم

يكون أكبر نعمة وآخر ما تجود به النظم على الحضارة المصرية من البركات بل يكون أجمل حلة تخلع على الشعب المصرى الذى عراه الاستبداد عما يستر جسمه الضئيل من الحقوق التى اعترف بها للعبيد والهمج ، وترك غرضاً ترميه الالسن بأمر الكلام ، كما تحدجه العيون باخبث ما تستطيع أن توجه من نظرات الاحتقار .

أولا يكون اصلاح الا اذا أظهرنا أهل الدنيا والآخرة على أن الشعب المصرى لا يستحق الحرية ولا يعرف لها طعماً ؟ أولا يكون اقرار للحقوق الا بان يسلب الشعب من حقه الطبيعى ؟ أولا يكون من انقلاب الا اذا ظهرنا بمظهر المرغمين عليه المسوقين اليه ؟ أولا يكون لنا من طريق الى التنفيذ الا تلك الطريق الملتوية المتعسرة التى نحفر فيها الانفاق ونذهب فيها خفية متسللين تحت الثرى كما تفعل الحشرات الدنيا ؟

***

على الوزارة القائمة اليوم أن ترضى ثلاث جهات معينة لا نستطيع أن نعتقد ساعة واحدة أن فى استطاعتها أن تجمع بين ارضائها . عليها أن ترضى أولا الشعب المصرى وأن تمنيه بمختلف الامانى . فتقطعه أرض الحكومة تثرى بها فقراؤ وتغمره بالماء تغرق به أراضيه . ولا ندرى ما علاقة هذه الاشياء بحق الامة فى الحرية . فان الارض لا تحرر الشعوب والماء لا يمتعهم بحقوقهم المقدسة فى الحياة . وعليها ثانيا أن ترضى جلالة الملك باعتباره رئيس الدولة ومرجع السلطات جميعاً فى نظامها الذى اختارته ليكون نظام الدولة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . وعليها أن ترضى قصر الدوبارة ، وما أدراك ما التحفظات الاربعة . اما نحن فنقول :

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
فانها شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا ما استقل يمانى

***

لا أستطيع أن أدرك أن حسن القوامة على الحكم قد يتأتى بغير نظامين .

فاما نظام نيابى تتسع فيه الحريات بقدر ما يستطاع ، وأما نظام دكتاتورى تنحصر فيه السلطة فى يد شخص واحد . وليس بين هذين النظامين فراغ يمكن أن يسده نظام ثالث . ففى كلا النظامين الدستورى والدكتاتورى تتوحد الاضرار كما تتوحد المنافع . ويحصر الخطأ كما يحصر الصواب . أما فى النظام الثالث ، وهو نظام لا بد من أن تتضارب فيه النزعات وتختلف فيه الاهواء على مقتضى ما تتجزأ السلطة وتتشعب وجهات النظر ، فلا يمكن أن تحدد فيه المنافع والمضار ولا يمكن أن يحصر الخطأ والصواب . ومن الاسف أننا نحكم اليوم وفى مصر ، وفى القرن العشرين ، بمقتضى النظام الثالث . فلدينا ثلاث سلطات متضاربة الاهواء لا يمكن التوفيق بين وجهات نظرها ، الا بان يكون التوفيق على رأس فتيان القرى . وما على أهل القرى الا أحد امرين فاما أن يخضعوا وأما أن تسلخ جلودهم .

***

من أغرب الصدف أن مصر بدأت تشعر شعوراً عميقاً بحاجتها الى الحكم الدستورى منذ سنة ١٩٠٨ عند ما اعلن الدستور العثمانى . فان أهل مصر وزعماءها كانوا يعتقدون أن الشعب المصرى أكثر كفاية من الاتراك وانه أقدر منهم على ادارة الشؤون . والآن بعد أن متعت مصر بهذا الحكم وذاقت حلوه ومره ، يتعطل فيها الدستور ليقوم فى بلاد الحجاز وبين اعراب البادية ، بينما ترفع تركيا رأسها تباهى الامم بان لها دكتاتوراً يحكمها حكما « دستوريا » . ويقف أمام مجلسها النيابى اثنى عشر يوماً متوالية ليلقى خطبة واحدة ليس له من غرض فى القائها الا أن يبرر للشعب التركى أعماله ويقدم له كشف الحساب

***

يحتمى دكتاتوران فى أوروبا هما موسولينى وبريموا ده رفيرا بالدستور ويستظلان بمجالس النيابة . أما صاحب الدولة محمد محمود باشا ، الدكتاتور الأول فى أرض الفراعنة ، ففى غير حاجة الى الاستظلال بشىء من ذلك

فهو يترك نفسه معرضاً لحرارة الشمس تلفح وجهه ، ولمهب الريح يتقاذفه . فأكرم بها من شجاعة فات فيها رئيس دولتنارئيس دولة ايطاليا ، وطاغية اسبانيا معاً .

***

محكمة النفس العليا هى الضمير . وعلى أساس هذه المحكمة قام مذهب الفيلسوف الكبير عمانوئيل كانت فى الاخلاق .

حاسب ضميرك دائما واسأله فى هوادة ولين — «هل يصح أن يكون تصرفك الاخلاقى فى مسألة من المسائل قانوناً تجرى عليه الانسانية » — هذا هو لب مذهب كانت فى الاخلاق . ولا شبهة مطلقا فى أن لهذا القانون علاقة كبيرة بمذهب ايزوقراط اليونانى اذ يقول — « اصنع بغيرك ما تريد أنه يصنع غيرك بك »

ومحكمة الضمير معقودة دائما ، ليل نهار ، سراً وعلانية . فهل تؤثر ظروف الحالات التى تقوم فى الافق الاجتماعى على هذه المحكمة ؟ وهل تتبع هذه المحكمة شرعة من شرائع الآداب العليا من غير ان يكون أمامها مبدأ تأتم به ؟ كلا . ان المبدأ هو المهتدى الوحيد الذى يهتدى به هذه المحكمة فى ظلمات ما يحف بها من مظاهر الاشياء الانسانية .

سمعت بأن ستة آلاف من الجنيهات كانت كافية لان يشترى بها « ضمير » جريدة من الجرائد الكبرى . وسمعت أن ابتسامة حلوة وقليلا من الذهب كان كافيا لان ينقذ جيش الاسكندر الروسى من احاطة عسكر الاتراك . وسمعت أيضاً أن قليلا من أبهة الملك والسلطان كانت كافية لان تغرى ملوكا بالاستبداد وأن تلقى بوزراء فى أحضان العسف والجور ينؤون به على كواهل الامم .

ولا جرم أن كل هؤلاء شرع أمام محكمة « الضمير » فلو ساء أحد من هؤلاء نفسه يوما « هل يصح أن يكون تصرفه قاعدة للانسانية تجرى علينا » — إذن لرجع عن غيه وانصرف عن ما أقدم

عليه . ذلك لانه اذا ساءل نفسه على هذا النمط أدرك لاول وهلة ان هذا القانون يجوز أن يطبق عليه من الغير كما يطبقه هو على نفسه . إذن يكون الجواب أن خيانة محكمة الضمير اضرار بالانسانية وبالافراد : واذن نعتقد ان محكمة الضمير لا بد لها من قانون او مبدأ يسير احكامها فى كل ظرف من الظروف .

***

اذا ساءل مستبد ضميره — « هل يصح أن يكون الاستبداد قانون الاخلاق الانسانى » — واذا ساءل مرتش نفسه « هل تصح الرشوة أن تكون مبدأ المعاملة » — واذا ساءل سفاح ضميره « هل يصح أن يكون القتل صبغة الحيوان الناطق ، واذا ساءل كل الاراذل أنفسهم هل يصح أن تكون رذائلهم قاعدة يجرى عليها المجتمع ، اذن تخلصت الانسانية من الشرور والآثام — وإذن لعرف المستبد ان الاستبداد جائز أن ينقلب عليه فى نفس الصورة التى يطبقه بها على بقية الناس . واذن ينتفى أن يكون الظالم مظلوما اذا ظلمه غيره ، وينتفى أن يكون السارق مسلوبا اذا سلبه غيره .

وهكذا دواليك . ضع نصب عينيك دائما فكرة انك فرد من أفراد الانسانية مهما علت رتبتك وكبر جاهك . اذكر فى أعماق نفسك دائما قول ايزوقراط — « اصنع بغيرك ما تريد أن يصنع غيرك بك »

فيلوبونس

مبادئ الفلسفة الحديثة

٣ — الفلسفة والحياة

***

٤ — الفرد والمحيط

الفرد الانسانى كما رأينا من قبل محفوف بمحيط يتطلب منه بعض سؤوليات يجب عليه القيام باعبائها اذا قدر له أن يعيش . أما مادة المحيط اتساعاته ، وكذلك تكوينه واغلاله ، فحقائق جافة ملموسة لاتعرف هوادة يما تتطلب من حاجات. وكذلك العادات التى تنشأ فيه وتقاليده ، واستعاقاته لادبية والدينية ، ومعتقداته الالزامية ، يجب أن يعترف بها وان يسلم بديا جودها . غير أن الفرد ، من جانبه الشخصى ، له منافع ومصالح خاصة به . ن الفرد ليس ذلك الكائن السلبى الصرف فيما يتعلق بمحيطه الذى يحويه . نه مركز ايجابى عملى له حاجاته ورغباته ، التى تقوم بجانبها ارادة تستطاعه ن هذه الحاجات والرغبات . وله فوق ذلك قدرة على الانتفاع بمحيطه ، وأن سبه فى قالب مايساعده على الوصول إلى غاياته.

وليس الفرد بالعوبة تتقاذفها القوات الطبيعية والاجتماعية ، كلا . فان رد تأثيراً عاكساً فى هذه القوات يتحدد إلى درجة مايقتضى طبيعته. أما صور التى يتحيز فيها التأثير العكسى للافراد فى محيطهم فكثيرة . وليس ن شأننا فى هذا الموطن أن نعدد هذه الصور بالتفصيل . غير اننا لانهمل كر ثلاثة منها لها شأن خاص فى دراستنا هذه .

(١) — التأثير الاحساسى

اول مايتبادر إلى اذهاننا أن تأثير الانسان فى محيطه انما يكون بديا ن طريق احساساته وانفعالاته لذة وألماً . فان الفرد الانسانى قد فطر

وكون على أن يشعر بلذة أو ألم ، وكذلك فهو يعمل دائماً على أن يحصل على احدهما ويتجنب الآخر . وبهذا يؤثر تأثيراً عاكساً فى محيطه بان يمضى باحثاً وراء الاشياء التى يلتذ بها ، ويتنكب كل الاشياء التى يتألم منها . وفى الظاهر أنه يشاطر فى هذا الفعل كل صور الاحياء الحيوانية . ويلوح لنا أن هذه القاعدة تجرى على أبسط صور الحياة ، كما تجرى على ارقاها تركيباً واسماها بناء . ولا خفاء فى أن هذه الظاهرة من اكبر الظاهرات التى تؤثر بها الاحياء فى محيطها الذى يحف بها .

(٢) — التأثير الانفعالى

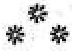
أما الصورة الثانية من صور التأثير الفردى فندعوها بالصورة الانفعالية . أما اذا حاولنا أن نعلل أوجه هذا الضرب من التأثير العاكس ، فان ذلك يجرنا الى الكلام فى نظريات كثيرة واعتبارات شتى ، تجرنا حتما الى ميدان تتسع حدوده لأبعد مما يجب أن نحدد به بحثنا فى المبادىء الاولية ، كما نريد أن نفعل فى هذه الابحاث .

ويكفى أن نعرف هنا أن صور التأثير الانفعالى متشابكة متخالطة ، اذ تتضمن الاحساسات التى أشرت اليها سابقاً ، مضافا اليها كثيراً من المؤثرات العضوية العاكسة ، وقدر كبير من النشاط العقلى . والامثال على هذه الصور كثيرة لا تحصى . فالخوف والغضب والحب والبغض والحزن والاشتفاق والتسلية والعبادة كل هذه أمثال تضرب على التأثير الانفعالى .

على أن هذا التأثير — الانفعالى — بفضل ماله من أوجه التشابك والاختلاط لا يكون الا فى العضويات العليا التى تمتاز بجهاز عصبى فيه رقى فزيولوجى يدل عليه اختلاطه وتشابك اطرافه . اما الحد الذى يبلغ اليه هذا التأثير من حيث الانتشار فى صور العضويات فسؤال لا يجب ان يعنت شخص نفسه فى الجواب عليه . لانك اذا قلت بان اميبا حية فى حالة حب او غضب او خوف كان هذا مجازاً لا معنى له .

(٣) — التأثير العقلي العاكس

اما ثالث صورة من صور التأثير الخاص بالذوات الانسانية فتأثير العقل تأثيراً عاكسا . ويتكون هذا الفعل العاكس فى جوهره فى تحديد المشاكل التى تصادف الانسان فى محيطه الذى يعيش فيه ، وفى العمل على الوصول الى حل لها . ومن طريق قدرته العقلية يستقرىء الانسان ما يستطيع ان يستقرىء من معانى الاشياء المحيطة به وطبائعها ، ويسميها باسماء خاصة ، وبذلك يكون لغته ، ويزن قيمة الاشياء ، ويحدد علاقة الاشياء ، او مراكزها المكانية بالنسبة بعضها لبعض . اما الزمان الذى بدأت فيه القدرة الانسانية على ان يكون لها أثر فى حياة الانسان ، فليس هذا موطن الافاضة فيه ، وان كان من موضوعنا هذا فى اسمى اعتبار ، ويكفى هنا ان نقول ان بدايات القوة العاقلة فى الانسان قد نعثر عليها فيما نسميه بالغريزة الحيوانية . وهى تسمية لا ينقصها الكثير من الغموض والابهام . وكما انه من الجائز ان تكون القوة العاقلة صورة من صور الغريزة ، كذلك يجوز ان تكون مستمدة من ناحية اخرى . ومهما يكن من أمر هذه القوة الغريبة ، فان فعلها العاكس وقف على الفرد الانسانى وحده دون بقية المخلوقات . ويكفى ان تعرف هذا وحده فى درسنا هذا .



فيلوزوف

النقد والتأليف

الجمعيات التعاونية ونظامها في مصر

لتوفيق حامد المرعشلي

أكاد أجزم بان هذا الكتاب هو خير الكتب التي وضعت فى التعاون فهو مختصر ووافٍ، بسط المؤلف فيه زبدة ما وعته ذاكرته من الموضوع ولم يقف عند هذا الحد بل اتحف قارئه بملخص فى علم الاجتماع وكيفية نشوء الجماعات وتكلم عن معانى التعاون الشاملة وقال إن غريزة الرغبة فى البقاء هى أكبر دافع لنا على التعاون خصوصاً وان حياتنا فى تعقد متزايد ومهد للدخول فى الموضوع ببسط المصاعب التى نواجهها فى معاشنا وأخذ بعد ذلك يدل على الطريق الواجب اتباعه لتذليل هذه المصاعب الى أن وصل الى التعاون بمعناه المحدود.

فلخص للقارىء تاريخ التعاون ولكنه يؤاخذ على انه زعم وجود التعاون عند قدماء المصريين فى مثل أيام رمسيس الثالث وعند الامم القديمة أيضاً دون أن يحاول شرح كيفية وقوفه على ما ذكر. وبعد إن مر على العصور الوسطى وابان حالتها لخص لنا تاريخ الثورة الصناعية تلخيصا لطيفاً ثم تكلم عن نشوء فكرة التعاون ونموها فى انجلترا ومر على فرنسا والمانيا وايطاليا وهو يكاد لا يذكر الا أسماء مؤسس الحركة التعاونية فى كل منها ثم سرد أسماء بضعة ممالك أخرى تشريفاً لها وكم كان بودى لو أعطى فكرة ولو صغيرة عن كل قطر ولكن يظهر ان المؤلف قد مل من قراءة ما حشرت به المؤلفات التعاونية فاراد ان يخفف على القارىء اعادة ما نقله غيره عن الكتب

الاجنبية حرفا بحرف. وهنا يجدر بى ان أقول ان مميزات هذا الكتاب تنحصر فى أن المؤلف اعمل عقله ولم يلتجىء الى النقل الحرفى .

تكلم بعد ذلك عن المؤسسات التعاونية وقسمها تقسيما حسنا وعطف بعد ذلك على نظم الاتحادات وأنواعها ثم أخذ ينشر الدعوة الى التعاون فابان اغراضه ومبادئه واهتم بالجمعيات الزراعية بانواعها على وجه خاص مع بسط الدور المطلوب من الحكومات لعبه لنشر التعاون وانجاحه

يأتى بعد ذلك بفذلكة عن تاريخ مصر الاقتصادى ومدار حملته « عاق الاحتلال البريطانى سير التقدم الاقتصادى وليس هذا تعطيل وجه السياسة الاقتصادية فى البلاد الى بناء الثروة على رءوس الاموال الاجنبية ص ٨٢ »

وتكلم بعد ذلك عن تأثير بنك مصر فى النهضة الاقتصادية الحالية وتكلم عن جهود عمر لطفى والجمعية الزراعية ومشروع قانون سنة ١٤ وقانون ٢٧ لسنة ٢٣ وقانون ٢٣ لسنة ٢٧ وهو الاخير وقد أتى بملخصه وملخص حركة التعاون الحالية فى القطر

وقد انتقد المؤلف فى آخر كتابه كما فعل فى مقدمته الطيبة فكرة الحكومة المتجهة لالغاء تعليم التعاون فى مدارس معلمى الكتاتيب . وحقيقة ان هذه المحاولة لا داعى لها ولو تمت لاستدعت الاسف العظيم واننا نشارك الدكتور المؤلف وجهة نظره فى هذا الموضوع وقد بسطها فى مقدمة كتابه ونزيد مطالبين تعميم تدريسه مع مسك الدفاتر ومبادىء التجارة فى المدارس الأولية والابتدائية أيضاً

ولا يسعنا بعد قراءة هذا الكتاب الا حث الدكتور المرعشلى لكى يتحف القراء بكتب اخرى فى موضوعه لانه يظهر من كتابه إنه يفكر اولا وبعد مايحصر الذى يروم قوله يبسطه بسلاسة لايشوبها الغرور والحشو

***

النكبات

تأليف الريحانى كتيب صغير من القطع الكبير

لاتعرف اذا كان الكتاب فى التاريخ أم هو فى الرواية. ولا تستطيع أن تفرق بين موضوعاته تفريقاً صحيحاً فجميعها متخالطة إذ تسرى فيها

كلها فكرة واحدة كالقالب الذى تريد أن تجعله ملائماً لجميع المقاسات. فاذا اخذت الكتاب على أنه « نواح » على سوريا « وبكاء » على زائل مجدها ورثاء لاهلها وما نزل بهم من النكبات خلال عصور شتى ، استطعت ان تدرك للكتاب بعض المعنى . ولو الف الريحانى كتابه هذا منذ عشرين قرناً مضين إذن لكان للناس ان يفهموا منه شيئاً جديداً وإذن لكان له بعض الاثر. فانى لاأشك مثلا ان « مراثى اريميا » من أبدع ماتقرأ فى اسفار العهد القديم ومن اكثرها اخذاً باللب . ولكن اعتقد بجانب هذا ان سر تأثيرها البالغ راجع فى اكثر الامر إلى مايحف بها من التقاليد التى تجعل لها فى النفس رنة خاصة وترجيع بعينه . على الضد مما اذا قام « إريميا » اليوم وكتب لنا « مراثى أوروبا » بعد الحرب العظمى ، فهل تجد لهذه من الروعة مالتلك ؟ . كلا .

وكذلك لم ادرك ماذا رمى اليه المؤلف من نشر مثل هذا الكتاب ، مع اعتقادى أن النكبة التى اصيبت بها سوريا بعد الحرب لا بعد النكبات اثراً فى حياتها السياسية والاجتماعية وهى ولا شك أشد من كل النكبات التى نزلت بها الماضى اثراً باعتبار الزمان والمكان . وهل من نكبة اشد من التفريق بين عناصر شعب واحد فيصبح بمقتضى النظام السياسى دولا وجمهوريات ، وتتباين بينهم المقاصد والاغراض وتلعب بهم اليد الاجنبية وهم عاجزون حتى عن دفعها بقليل من الاتفاق فى الرأى على خطة واحدة ؟.

فاذا كان المقصود بالكتاب التذكير وترجيع المآسى القديمة بنغمة جديدة ، فما اصدق قول الشاعر :

تلك المصيبة انست ماتقدمها
وما لها مع طول الدهر نسيان

العصور

فى سنتها الاولى

بهذا العدد تختتم العصور سنتها الاولى . وكان حقا علينا أن نستعرض فى ايجاز ما قابل به الرأى الادبى والعلمى فى البلاد العربية نزعة العصور ومبدأها . والحق أننا ما أصدرنا العصور ابتغاء الكسب ولا ابتغاء العمل الصحفى على أنه تجارة نحتال بها على الناس لنسلبهم سراً فى الظلام تلقاء بضاعة مزجاة نرضى بها نزعاتهم ونطلب بها مرضاتهم . بل عنينا فى أول ما عنينا به فى العصور أن نكون مستقلين فى السياسة عن كل الاحزاب، كما كنا فى العلم والادب على نهج قد لا يرضى السواء الاعظم من الامم العربيه فى هذا العصر . وكنا على علم باننا سوف نلقى صعابا واننا سوف نجد من عطف القليلين من المتنورين النابهين ما نستقوى به على سخط الاكثرية من الجامدين . وقدرنا أننا سوف تنضب من حولنا موارد التشجيع فى عمل ما يعرف قدره الا القليلون. والذين يقدرون له أثره فى المستقبل أقل. غير أن كل ما قدرناه اذعزمنا على اصدار العصور فى مثل هذه الايام من العام المنصرم قد خطأه الواقع ونمت على مغالاتنا فيه التجربة العملية. فالحق ان العصور قد لقيت فى العالم العربى كله من التشجيع والانصار ما ضاعف على العمل عزيمتنا وحفزنا الى مواصلة الجهد البالغ لنشر مع العصور مبدأ حرية الفكر خالصا لوجه الحقيقة ، فلا المذهبية فى أية صورة من صورها ،علمية أم فلسفية أم دينية ، كان لها علينا أقل سلطان ، ولا الاغراض بضروبها مادية او غير مادية لها على عملنا فى العصور اضأل الأثر . فلوجه الحقيقة نعمل وعلى تهديم آخر حجر من بناء التقاليد والاساطير نواصل الجهد غير وانين ولا مفرطين يوما من الايام

ولقد ساء البعض أننا تطرفنا فى النقد بعض الشيء وأدلينا برأينا فى موضوعات تمس الناحية التقليدية عند بعض الفئات بكثير من حرية الرأى. وعلى قدر ما ساءهم منا ذلك التطرف وتلك الحرية ، ساءنا أن نتحفظ فى بعض الاحيان عن أن نبدى رأينا بما يلزم من الصراحة ازاء بعض المبادىء التى بثها فى روع الناس مجموعة المقلدين الجامدين الذين لا يرون فى كل جديد الا هدما بسلطانهم البائد ونقضا لبنائهم المنهار .

***

ولست أنكر أن للقلم زلات ، قد يكون مقصوداً بها الخير فتنصرف فى غير منصرفها ، وقد تكون راجعة الى ما يعتور النفوس بعض الاحايين من سقطات الوهم وفلتات الهم والضجر . ولعمرى كيف تكون حرية فكرية تلك التى لا تحمل من أعدائها أكبر الاذى بلذاذة وصبر . وكيف يكون جهاد فى سبيل مبدإ ولا يتسع لكلمات تنبذ بها الصدور المحرجة والقلوب المفعمة بحب القديم تهاجمه فى غير هوادة ولا لين ؟

وكذلك لا أدرى كيف نخلص من موقفنا الذى وقفنا فيه وصحبى الذين تطوعوا لنشر هذه الدعوة معى من غير أن يصيبنا رذاذ من عنف السليقة ينهدل مع قليل من الاسف على ما أحب الناس أن يكون بعيداً عن متداول النقدوميدان الصراع ، وأردنا الا أن نجعله فى الميدان يتلق الضربة ويتقيها ويسدد أخرى فتتقى بمثل ما اتقى ضربات خصومه . وكفى بهذا موقفاً يجعلنا فى حيز بعيد عن ما يدرك عامة الناس من حقيقة الحياة الفكرية الحرة كما عرفت خلال العصر الحديث

ولقد اسفت بعض الشيء لان النقد الذى دأبت عليه العصور قد انصرف بعض الاحيان الى صورة ظهر بها فى مظهر جعله الى التهكم أقرب منه الى النقد . وما قصدنا بذلك الا أن نذهب عن القارىء شعوره بانه مطوى فى فى ذلك الجو الجاف ،جو التفكير الصرف والحركة الذهنية المحضة التى تتلقفها فيه النظرية تلو الاخرى والقاعدة بعد أختها . فاذا كنا قد أسأنا

فى ذلك ، واذا كنا قد نبا بنا القصد عما قصدنا اليه فى اختيار السبيل ، فلا عذر على ما قصد به الخير ، وان انصرف الى ناحية اقضت مضاجع بعد القارئين .

*
**

أما وقد اتيحت لنا الفرصة لأن نكتب فى العصور بمناسبة انقضاء سنتها الاولى ، فانا نعاهد قراءنا مرة أخرى على أننا سوف نكون عند الخطة التى بدأنا بها حياة المجلة من البحث عن الحقيقة والنقد الحر المبرأ عن اية من العلاقات الدنيوية التى قد تذهب بالنقد فى مزالق انحدرت من فوقها صحف النقد الى حيث اصبحت وسائل للتمادح وتكايل الثناء فى غير حاجة اليه وفى غير موضع له .

كذلك سوف نقتصر فى اصدار العصور على عشرة اعداد تقع كل خمسة منها فى ٨٠٠ صفحة من قطعها العادى وتكون مجلداً ، فسنزيد على كل عدد ٣٢ صفحة تعويضاً للقارىء فى عشرة الاعداد عما سيفقد من عدديها . وما توخينا بهذه الطريقة الا ان نجد فرصة نجدد فيها مقدرتنا على العمل والتفرغ لبعض الدراسات التى يجب أن تكون عدتنا للعمل فى المستقبل .

هذا وأكبر آمالنا أن نكون لدى قرائنا فى المنزلة التى أنزلنا فيها آثار الكتاب جميعاً ، معرضين لنقدهم متقبلين لآرائهم ، فالعصور ليست الا ميدانا تتصارع فيه العقول عسى ان تصل الى بعض ما نتوخى من تقويم للاساليب الفكرية التى شاعت بيننا منذ ابعد الازمان —

اسماعيل مظهر

فهرست

ص

١٢٩٧ — الديموقراطية فى الميزان . عن ويلز	....
١٣١٥ — رباعيات الخيام — للزهاوى	....
١٣١٦ — هرطقة والعياذ بالله	حسين محمود
١٣٢٠ — غريزة الجنس	عمر عنايت
١٣٢٦ — ماهو الالحاد	ط . ه حنين
١٣٢٨ — الغصن الذابل؟ قطعة شعرية	حسن كامل الصيرفى
١٣٣١ — الله — قطعة شعرية	أنور شاؤل
١٣٣٤ — وثائق للتاريخ :	....
١٣٤٠ — مستقبل الشمس — بحث فلكى عن سير جينز	....
١٣٤٧ — الراعيان والافعى — اسطورة عربية	....
١٣٤٩ — جورج برنرد شو	....
١٣٦١ — فى الادب	....
١٣٦٤ — مذكرات انا	....
١٣٧١ — الاقتصاد : كما يفهمه المصريون	....
١٣٧٦ — الجد العاثر — قصة	منير الحسامى
١٣٨٢ — نظرات فى الحياة العامة — عن لورد غراى	....
١٣٩٧ — هدم الاساس — قطعة شعرية	نصف سياسى
١٣٩٨ — دكتاتورية الاقزام — فى الميثولوجيا	....
١٤٠١ — الثقافة والاخلاق — عن لورد اسكويث	....
١٤٠٨ — تأملات فى الادب والحياة	فيلويونس
١٤١٣ — مبادىء الفلسفة الحديثة	فيلوزوف
١٤١٦ — النقد والتأليف	
١٤١٩ — العصور فى سنتها الأولى — اسماعيل مظهر	

يظهر فى خلال أسبوع

كتاب

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات أخرى

النسبية علمياً وفلسفيا — أساس الحضارة المقبلة : أهو الرقى الادبى أم النشوء العضوى — ماهية التاريخ : فنيا ووصفياً وفلسفياً — ماكس نورداو : نظرته في الحياة ومثال من آرائه الاجتماعية — دلالة الشعر على روح العصر — عبث الحياة : قصة واقعية — كشف الستار عن سر الاسرار — خداع الطبيعة — النهضة الشرقية : أظهر مظاهرها وأبق آثارها — طابع المدنية الحديثة : مدنية الفرد ومدنية الجماهير — يعقوب صروف : صورة وذكرى : أثره فى علم البيولوجيا — فلسفة الانقلاب التركى الحديث .

***

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

أنجزت دار العصور للطبع والنشر هذا الكتاب واقعاً فى ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير مطبوعاً طبعاً متقناً . وقد جمع بين الابحاث العلمية والادبية والتاريخية فى أهم الموضوعات التى تعالج مشاكل العصر الحديث . وفيه تقع على

بحث مستفيض في المشاكل الحقيقية التى تقوم فى العالم الاوروبى والتى تهددنا اليوم تهديداً حقيقيا يكاد يقضى على حياة الهدوء والسكينة التى عاش آباؤنا الاقربون فى كنفها الى عهد قريب .وأول تلك المشكلات الكبيرة ادخال الآلات الميكانيكية فى حياتنا العامة ، وفى أخص ما تقوم عليه الحياة المصرية من المنتوجات الصناعية والزراعية . فلدينا اليوم معامل تجمع بين جنباتها آلاف العمال ، وفى حقولنا تدوى الآن آلات الحرث والدرس والحصاد الى غيرذلك من الاعمال التى كان يقوم بها فلاحنابجهد يديه . فكأننا قادمون على نفس ذلك العصر الانقلابى الذى بدأ فى أوروبا منذ قرن ونيف وقلب أساس الحياة الاجتماعية هناك رأساً على عقب وزود المدنية الحديثة بمشكلات كبيرة لم يجد الإجتماعيون والسياسيون حتى اليوم مخلصاً منها . فاذا قرأت « معضلات المدنية الحديثة » فكأنك قرأت ما أنت مقدم عليه من مشكلات الحياة الجديدة في عصر التمدن .

وانك بعد ذلك لواقع على ابحاث علمية فلسفية لايستغنى عن الوقوف على مفصلاتها عقل مثقف على النمط الحديث . وعلى الجملة فكل الكتاب على طابع واحد من دقة البحث والافاضة فيه .

وقد رغبنا فى أن نجعل الكتاب في متناول أعظم مجموع من القارئين فجعلنا ثمنه ١٥٠ ملليما يضاف اليها أجرة البريد اذا طلب مباشرة . فاطلبه من جميع المكاتب ومن دار العصور للطبع والنشر بشارع اسماعيل الفلكي رقم ٧ بالظاهر .